الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة- 1

محاضرات

مقياس القرآن الكريم

السنة الأولى ليسانس

المجموعة الثالثة

أ.د. الخامسة علاوي

المحاضرة الأولى : التعريف بالقرآن وعلومه

توطئة:

القرآن الكريم هو كلام الله أفضل كلام، معجزة الله في سماواته تتلوه الملائكة السفرة الكرام البررة باللغة العربية في صُحُف مكرمة، مرفوعة مطهرة مصداق قوله تعالى:" في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهَّرة بأيدي سفرة كرامٍ برررة".عبس (13-16) .

وهو قرآن مجيد في لوح محفوظ قال تعالى: "بل هو قرآن مجيد في لوحٍ محفوظٍ". البروج(21-22).

وهو أيضا معجزة الله في أرضه، يتلوه النّاس من بني البشر باللغة العربية تقرباً إلى الله عبادةً وثواباً

قال الله تعالى:"إنآ أنزلناه قرآناً عربيا لعلكم تعقلون".يوسف(2)، ومصداق قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول(ألم) حرفٌ ولكن ألف حرف وميم حرف ولام حرفٌ".

بل هو المعجزة الخالدة التي تتحدى الأجيال والأمم على كرِّ الأزمان ومرّ الدهور ، فيه خبر من قبلنا ونبأ من بعدنا ، هو القول الفصل ما تركه من جبّر إلاّ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه فيه بيان لكلّ شيء وهدًى ورحمة وبشرى للمسلمين. ولله دَرُّ شوقي حيث يقول:

جاء النّبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بكتاب غير منصرم

آياته كلما طـــــال المدى جُدُدٌ يُزَيِّنُهنَّ جمالُ العِتْقِ والقِدَمِ

1- التعريف بعلوم القرآن الكريم:

قيل المراد بعلوم القرآن كلّ علم يخْدمُ القرآن الكريم أو يستند إليه ويُؤخذ منه، ويشمل ذلك علم التفسير ، وعلم الرسم العثماني، وعلم الإعجاز، وعلم أسباب النزول، وكلّ علمٍ يساعد على فهمه كالنحو والصرف والبلاغة، أو يؤرخ لتطور علومه أو يستنبط من كلماته ومفاهيمه، فهي إذاً علوم لا تحصى، وقد توسع السيوطي في كتابه" الاتقان في علوم القرآن، والذي هو عمدة الباحثين والكاتبين في هذا الفن، فأوصلها إلى ثمانين نوعا على سبيل الإجمال والإدماج ، ثمّ قال بعد أن سردها نوعاً نوعاً : " ولو نوّعتُ باعتبار ما أدمجته فيها لزادت على الثلاثمائة ".

وتوسّع أكثر منه ابن العربي حتىّ أوصل هذه العلوم إلى الخمسين وأربعمائة وسبعة وسبعين ألف علم. وهذا الكلام محمول على ضرب من التوسع والشطح كما قال حسن أيوب في كتابه " الحديث في علوم القرآن والحديث "ص7.

وقيل هذا التعبير " علوم القرآن " يدلّ لغة على أنواع العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم. وهكذا كان يُستعمل في عصور المتقدمين، فيُراد به علوم تُؤْخذُ من القرآن، ومن علوم الشرع، كالعقيدة، أو الفقه، أو الأخلاق، أومن المعارف العامة حول الانسان، والكون والطبيعة والنبات والسماء والأفلاك.

كما قيل يُراد بـ(علوم القرآن) لغة علوم تخدم معاني القرآن مباشرة، وتوصل إليها، أو تدور حوله، أو تستمد منه، فيدخلُ تحت هذا التعبير بهذا الاستعمال اللغوي الثاني علوم كثيرة وضخمة، مثل: علم التفسير، علم القراءات، علم الرسم العثماني، وعلم إعجاز القرآن، وعلم إعراب القرآن، وسائر علوم الدين واللغة والبلاغة، وغير ذلك من علوم درس العلماء تآليفهم فيها القرآن كلّهفي ضوء كلّ علم دراسة تفصيلية.

ثمّ جعل العلماء هذه العبارة "علوم القرآن " اسم عَلَمٍ، يُراد به معنى خاص يدل على علم خاص غير ما سبق كلّه، لأنّ هذا المعنى الجديد يختص بأنّه علم واحدٌ يجمع ضوابط تلك العلوم االمتصلة

بالقرآن، من ناحية كلية عامة، أمنا علوم القرآن بالمعنى اللغوي فإنّ كلّ علم منها يدرس القرآن كلّه من زاوية اختصاصه آية آية دراسة تفصيلية.

وبناءً على ذلك يمكن أن تعرّف "علوم القرآن " باعتباره اسماً لعلمٍ واحدٍ فنقول: " علوم القرآن في الاصطلاح : هو المباحث الكلية التي تتعلّق بالقرآن الكريم من الناحية نزوله، تربيته، وجمعه وكتابته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، وغير ذلك" من المباحث الكثيرة التي تتعلق بالقرآن العظيم، أو لها صلة به، والغرض من هذه الأبحاث فهم كلام الله عزّ وجلّ على ضوء ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من توضيح وبيانٍ، وما نُقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، حول تفسيرهم لآيات القرآن، ومعرفة طريقة المفسرين، وأساليبهم في التفسير، مع بيان مشاهيرهم ومعرفة خصائص كلٍّ من المفسرين، وشروط التفسير، وغير ذلك من دقائق هذا العلم .

2- ظهور مصطلح علوم القرآن:

- لقد كان معروف لدى الكاتبين في تاريخ هذا الفن، أنّ أول عهد ظهر فيه هذا الاصطلاح أي اصطلاح "علوم القرآن" هو القرن السابع، لكن الأستاذ حسن أيوب صاحب كتاب (الحديث في علوم القرآن والحديث) يقول : " لا نعلم أحدا قبل المائة الرابعة للهجرة ألّف أو حاول أن يؤلف في علوم القرآن بالمعنى المدون؛ لأنّ الدواعي لم تكن موفورة لديهم نحو هذا النوع من التأليف. وإن كنا نعلم أنّها كانت مجموعة في صدور المبرزين من العلماء على الرغم من أنّهم لم يدوّنوها في كتاب، ولم يفردوها باسم"، ذلك أنّه "ظفر في دار الكتب المصرية بكتاب لعلي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالجوني المتوفى سنة[330هـ] اسمه(البرهان في علوم القرآن)، وهو يقع في ثلاثين مجلداً، والمجموع منه الآن خمسة عشر مجلداً، من نسخة مخطوطة ، وإذاً ، نستطيع أن نتقدم بتاريخ هذا الفن إلى بداية القرن الرابع بدل السابع، ثمّ توالت بعد ذلك التآليف في هذا الفن.

3- التعريف بالقرآن الكريم:

أ- التعريف اللغوي: اختلفت آراء أهل اللغة حول أصل كلمة القرآن وتعددت، ويمكن حصرها في خمسة أقوالٍ هي:

أ-1 القول الأول: كلمة القرآن مشتقة من الفعل قرأ بمعنى تلا، فالقرآن والقراءة مصدران بمعنى واحد وهو التلاوة.

دليل هذا القول: قوله تعالى: "لا تحرّك به لسانك لتعجل به، إنّ علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتّبِع قرآنه". القيامة 16- 18.

بمعنى إنّا علينا جمعه أي حفظه، وقرآنه أي تلاوته، فإذا قرأناه أي تلوناه فاتبع قرآنه أي تلاوته كما تلوناه.

من القائلين بهذا القول اللحياني [ت215هـ] .

أ-2القول الثاني: كلمة القرآن مشتقة من الفعل قرأ لكن بمعنى جمع والمصدر من قرأ هو قرْءاً بمعنى جمعاً ومنه القول قرأ الماء في الحوض أي جمعه فيه، فالقرآن والقرْء مصدران بمعنى واحدٍ من الفعل قرأَ بمعنى الجمْع ، أي جمع الحروف والكلمات إلى بعضها البعض في ترتيب . قال أبو عبيدة وسُميَ بذلك لأنّه جمع السور بعضها إلى بعض.

دليل هذا القول: إنّ معنى القرآن هنا الجمع على اعتبار أنّه يجمع علوم الكتب السماوية، وسائر العلوم كلّها. مصداق قوله تعالى:" ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء". النحل:89. وقال

الراغب: "ولا يقال لكلّ جمع قرآن ولا لجمع كلّ كلام قرآن، وإنما سُمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة، وقيل لأنّه جمع أنواع العلوم كلّها".

فالقرآن بالنسبة للقولين السابقين مصدر مهموز لأنّه مشتق من الفعل قرأ، فيُقرأُ بالهمز.

أ-3 القول الثالث: كلمة القرآن مشتقة من الفعل قَرَنَ بمعنى ضمّ ومصدره قرْناً بمعنى ضماً فالقرآن والقرْن مصدران بمعنى واحد وهو الضم.

دليل هذا القول: قال العلماء: على اعتبار أنّ السور والآيات تقرن إلى بعضها البعض، أي تضمّ لتكوّن وحدة متكاملة.

ومن القائلين بهذا القول أبو الحسن الأشعري الذي ينتسب اليه مذهب الأشاعرة [ت324هـ].

أ-4 القول الرابع: كلمة القرآن مشتقة من الفعل قرنَ بمعنى دلّ على أو أشار إلى فهو في هذه الحالة يرادف معنى قرائن ج م قرينة.

قالت العلماء فكلمة القرآن مشتقة من القرائن.

دليل هذا القول: قالت العلماء: على اعتبار أنّ آيات القران قرائن على بعضها البعض، أي دالة على بعضها، ومشيرة إلى بعضها البعض شبهً وتناسقاً.

من القائلين بهذا القول: الفرّاء النحوي الكوفي [ت207هـ].

أ-5 القول الخامس: كلمة القرآن جامدة، وغير مشتقة، وقع الارتجال بها بإطلاقها على القرآن

مثل كلمة التوراة التي نزلت على موسى والانجيل الذي نزل على عيسى، والزبور الذي نزل على داوود.

فالقرآن كلمة نزل بها القرآن هكذا، وفهمها العرب دون أن يجدوا لها أصلا اشتقاقيا، فهو موضوع من الأول الأمر عَلَماً على الكلام المعجز المنزّل كما قال الزرقاني.

من القائلين بهذا القول الشافعي [ت204هـ]. وابن كثير.

دليل هذا القول: قالت العلماء لو كان مشتقاً من الفعل قرأ لأمكن إطلاقه على كلّ ما هو مقروء ولوكان تأليفاً بشرياً، وهذا غير جائز مطلقاً.

ب-التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم:

يعرف العلماء القرآن "بأنّه كلام الله العربي الموحى به المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة الأمين جبريل المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز المتحدى به وبأقصر سورة منه".

وهذا التعريف متفق عليه بين العلماء والأصوليين، فالقرآن أنزله الله تبارك وتعالى ليكون دستورا للأمة، وبرهانا ساطعا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وحجة دامغة إلى يوم الدين لأنّه تنزيل من لدن حكيم عليم قال تعالى:"وإنّك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم".النحل:6.

بلى هو المعجزة الخالدة التي تتحدى الأجيال والأمم على كرّ الأزمان ومرّ الدهور.

ج- إخراج محترزات التعريف:

يمكن تحليل تعرف القرآن السابق إلى حدود هي:

الحد الأول: القرآن كلام الله تعالى

قال تعالى:" وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثمّ أبلغه مأمنه".التوبة: 6

وقال تعالى: "وإنّك لتلقى القرآن من لَدُن حكيم عليم". النمل: 6.

وقال أيضاً: " الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربَّهُم". الزمر:23.

وبهذا العنصر يستثنى كلام غير الله وهي المخلوقات كالملائكة، والجنّ والإنس فلا يسمى كلامهم قرآنا وإن ومهما سما في بيانه وفصاحته.

الحد الثاني: القرآن كلام عربي

قال تعالى: "إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون". الزخرف:3.

وقال أيضاً: "إنآ أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون". يوسف:2.

وبهذا الحد يستثنى كلّ ترجمة للقرآن فلا يجوز التعبد بها، ومن ثمّ فلا يجوز قراءتها في الصلاة لأنّها ما هي إلا ترجمة تفسير أو ترجمة لمعاني القرآن؛ إذ لا توجد لغة تضاهي اللغة العربية في غناها اللغوي والاشتقاقي والتعبير عن المعاني.

الحد الثالث: القرآن موحى به وذلك بواسطة جبريل عليه السلام الذي اختصه الله من دون الملائكة بإنزال الكتب السماوية كلّها على الأنبياء والرسل.

قال تعالى: "إن هو إلا وحيٌ يوحى". النجم:4.

وقال تعالى: نزل به الروح الأمين ."الشعراء: 193.

ويستثنى بهذا العنصر كل ما أوحى به الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بغير الوحي جبريل: كالإلهام، والرؤيا في المنام، فالقرآن جميعه أوحي به الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل وفي حالة اليقظة، وفي هيئة صلصلة الجرس.

الحد الرابع: القرآن منزّل على الرسول صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً". الكهف: 1.

وقال تعالى: " تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا.". الفرقان :1.

ويستثنى بهذا العنصر ما يأتي:

أ- كلام الله الذي نزل على الأنبياء والرسل الآخرين.

ب-كلام الله الذي لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلّم واحتفظ الله به، قال تعالى:" قل لو كان البحر مدادا لكلماتِ ربِّي لَنَفدَ البحر قبل أن تنفدَ كلماتُ ربّي ولو جئنا بمثله مداداً". الكهف:109.

وقال تعالى: " ولو أنّما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدّه من بعده سبعةَ أبحرٍ ما نفدتْ كلمات الله إنّ الله عزيز حكيم". لقمان:27.

الحدّ الخامس: القرآن قطعي الثبوت منقول بالتواتر

ويخرج بهذا الحدّ:

أ- الحديث القدسي: لأّنه ولو أنّه كلام الله ليس كلّه متوتراً، فكثير من الأحاديث القدسية آحاد وغير متوترة، وبالتالي فليست كلّها قطعية الثبوت فمنها ما هو متواتر وهو أقلّها، ومنها ما هو خبر آحاد ومنها ما هو موضوع .

ب- الإيضاحات والشروحات الواردة في مصاحف بعض الصحابة، ككلمة (متتابعات) والتي وردت في آية اليمين في مصحف عبد الله بن مسعود، وكذا كلمة (من ذهب) في آخر قوله تعالى: " وآتيتم إحداهنّ قنطارا "النساء:20.

ت-فهذه الإضافات ليست بقرآن ولم يضفها أصحابها إلى مصاحفهم على سبيل أنها قرآن، وباتفاق العلماء فإنها ماهي إلاّ شروح وإيضاحات ليس إلاّ.

الحد السادس: القرآن متعبد بتلاوته

أي مأجور من قرأه ابتغاء وجه الله تعالى، بمعنى أنّ مجرد تلاوته عبادة، ولا تجزئ الصلاة إلاّ به، قال صلى الله عليه وسلّم: "من قرأ القرآن فله بكلّ حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول (ألم) حرفا، ولكن ألف حرف ولام حرف، وميم حرف ". أخرجه الترمذي

وفي رواية للبخاري:" من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف، وميم حرف".

وبهذا الحد يخرج كلّ من:

أ- الأحاديث القدسية لأنّها وأنّها كلام الله، إلاّ أنّه لا يتعبد بتلاوتها ولا تجزئ في الصلاة.

ب-القرآن المنسوخ تلاوة؛ حيث لم تعد الآيات المنسوخة تلاوة من القرآن.

أمثلة على القرآن المنسوخ تلاوة:

1- "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله."

2- أنْ بلِّغوا عنّا قومنا أنّا لقينا ربنا فرضيَ عنّا وأرضانا".

الحد السابع: لقرآن معجز

إذا كانت معجزة الأنبياء والرسل السابقين حسية تتلاءم مع أحوال ووقتية رسالاتهم، فإنّ معجزة محمد عليه السلام أبدية خالدة تتلاءم وخلود وأبدية رسالته، ألا وهي القرآن.

الحد الثامن: القرآن متحدى به وبأقصر سورة منه.

وقد وقع تحدي القرآن للعرب والبشرية على درجات:

الأولى: التحدي العام: قال تعالى: " قلّ لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا". الاسراء88.

الثانية: التحدي الجزئي وكان على مرحلتين:

أ- قال تعالى: "أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إنْ كنتم صادقين."هود:13.

ب-قال تعالى: " وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله من دون الله إن كنتم صادقين". البقرة23.

وخلاصة القول:

إنّ تدبر معانيه والعمل به يُؤجر المسلم عليه، قال عليه الصلاة والسلام:" من سلك طريقاً يلتمس فيه عِلْماً سهّل الله لهُ طريقا إلى الجنة ". رواه مسلم. ومعلوم أنّ أشرف العلوم وأجلّها علم يُفهم من كتاب الله تعالى.

وإنّ بداية القرآن الكريم هي سورة الفاتحة، وأفضل سورة فيه "الحمد لله ربّ العالمين "وخاتمته نهاية سورة الناس، وهي قوله تعالى:" من الجنة والناس"، هذه السورة التي ما تعوّذ متعوّذ بأفضل منها مع سورة الفلق، وقد رقى بهما جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلّم لما سُحر."

ملاحظة:

معنى القرآن المنسوخ أي الذي أُزيل حكمه أو تلاوته من القرآن لأن معنى النسخ هو الإزالة نقول أزالت الشمس الظل أي أزالته.

المحاضرة الثانية: مفاهيم ورؤى قرآنية

1- الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم:

قال الإمام ا بن حجر العسقلاني صاحب كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) في بيان الفرق بين الوحي المتلو والوحي المروي عنه صلى الله عليه وسلم عن ربّه عزّ وجلّ ، وهو ما ورد من الأحاديث الإلهية وتسمى القدسية ، وهي أكثر من مائة حديث ، وقد جمعها بعضهم في جزء كبير قال:

"اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام وأولها وأشرفها القرآن لتميزه عن البقية بإعجازه ، وكونه معجزة باقية على مرّ الدهور محفوظة من التغيير والتبديل ، وبحرمة مسّه للمُحدث وتلاوته للجُنُب وروايته بالمعنى ، وبتعيُّنه في الصلاة ، وبتسميته قرآناً . وبأنّ كلَّ حرف منه بعشر حسنات ، وبامتناع بيعه في رواية لأحمد ، وكراهته عندنا ، وبتسمية الجملة منه آية وسورة .

وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية ، لا يثبت لها شيء من ذلك ، فيجوز مسّه وتلاوته لمن ذُكِر ، وروايته بالمعنى ، ولا يجزئُ في الصلاة بل يبطلها ، ولا يسمى قرآنا ، ولا يُعطى قارئُه بكل حرف عشر حسنات ، ولا يُمنع بيه ، ولا يسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقا أبضا.

وثانيها :كتب الأنبياء عليه الصلاة والسلام قبل تغيُّرها وتبدُلها .

ثالثها : بقية الأحاديث القدسية ، فهي من كلامه تعالى ، فتضاف إليه وهو الأغلب ، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء ، لأنّه المتكلم بها أولا ، وقد يُضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم لأنّه المُخْبر بها عن الله تعالى بخلاف القرآن ، فإنّه لا يُضاف إلاّ إليه تعالى ، فيُقال فيه ، قال تعالى ، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يرويه عن ربِّه. واختُلف في بقية السنة هل كل السنة بوحي أو لا وآية (ما ينطق عن الهوى) تُؤَيّدُ الأول . ومن ثمّ قال صلى الله عليه وسلم : " ألا إني أُوتيت

الكتاب ومثله معه " ، ولا تنحصر تلك الأحاديث في كيفية من كيفيات الوحي ، بل يجوز أن تنزل بأيّ كيفية من كيفيا ته ، كرؤيا النوم ، والإلقاء في الروع ، ، وعلى لسان الملك ".

يقول جلال الدين السيوطي ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى بخلاف القرآن .

وقد زاد الأمير حُميد الدين وجهين من الفروق هما :

الأول : أنّ جاحد القرآن الكريم يُكفَّر بخلاف جاحد الحديث القدسي فلا يُكَفَّر .

الثاني : أنّ القرآن لا بد فيه من كون جبريل واسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين الله عزّ وجلّ بخلاف الحديث القدسي. ا.هـ

2- الفرق بين النبي والرسول :

- دلالة النبي :

إن المادة اللغوية التي جاءت منها كلمات النبأ، والنبي والنبوة هي (ن ب أ) ، وجاء من هذه المادة في الصيغة الفعلية ، نبأ ، أنبأ ، استنبأ ، ، ومعنى نبّأ أخبر عن الشيء وذكر قصته ، وأنبأ بالشيء نبّأ به . و استنبأ عن الشيء طلب من الآخر أن يُنبئه به . يقول تعالي من سورة التحريم :" وإذْ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثا ، فلما نبأت به وأظهره الله عليه ، عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال: نبأنِيَ العليم الخبير "الآية3.

ويقول الله تعالى في سورة البقرة : "وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال :أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيبَ السموات والأرض وأعلم ما

تبدون وما كنتم تكتمون "الآيتين :(31-32) . ويقول من سورة يونس :" ويستنبئونك أحقٌّ هو ؟قل أي، وربي إنّه لحق وما انتم بمعجزين "الآية 53.

والنبأ الخبر ذو الشأن والقصة ذات البال يقول تعالى من سورة الأنعام :" لكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون " الآية 67. ويقول من سورة الكهف :" نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق ، إنهم فتية آمنوا بربهم "الآية 13.ويقول :"عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم " الآية 1-2 . ويقول : " تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك "هود 49، ويقول :"قل هو نبأ عظيم .انتم عنه معرضون "ص:63-64.

يقول راغب الأصفهاني في كتابه (المفردات في غريب القرآن) عن النبأ أنّه خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبةُ ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحقّ الخبر الذي يُقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسلام .

و(لتضمن النبأ معنى الخبر يقال أنبأته بكذا كقولك أخبرته بكذا . ولتضمنه معنى العلم قيل أنبأته كذا كقولك أعلمته كذا ، قال تعالى :" قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ") . من كتاب مفاهيم قرآنية :ص17

و(النبي هو ما أوحي إليه بملك أو أُلهم في قلبه أو نُبِّه بالرؤيا الصالحة) .كتاب التعريفات : ص215.

وأصله النبيءُ بالهمز ، من أنبأ من حيث إنّه يُنبِئُ عن الله سبحانه وتعالى أو من حيث إنما يُنبأُ بما يوحي إليه ، وجرى فيه التخفيف بقلب الهمزة ياءً، كما قيل البرية في البريئة .كتاب مفاهيم قرآنية :ص17.

وللتنويه " إذا ورد لفظ النبي في القرآن الكريم معرّفا بالألف واللام (أل) فإنّ المراد به يكون النبي العربي محمد بن عبد الله عليه السلام ، أما إذا ورد مُنكراً أو معرّفا بالإضافة فإنّ المراد يكون غيره "كتاب مفاهيم قرآنية ، الصفحة نفسها .

ويذهب الراغب الأصفهاني إلى أنّ النبي سُمّي بذلك من حيث إنّه منبئا بما تسكن إليه العقول الذكية . وهو يصحُّ أن يكون فعيلا بمعنى فاعل لقوله تعالى :(نبّئ عباديَ) ،و(قلْ أُنبئكم) ، وأن يكون بمعنى المفعول لقوله :(نبأنيَ العليم الخبير).التعريفات ص482.

ورُوي عن بعض العلماء قولهم :"النبي من النبوة أي الرفعة ، وسُميَ نبيا لرفعته محله عن سائر الناس . وتنبأ فلان : ادعى النبوة ، والنبوة منصب النبي وخصائصه ومميزاته التي يصير بها نبياً، وأصل النبوة النبوءة مخفف كما تقول المروة في المروءة " . مفاهيم قرآنية ص18.

والنبوة عند الراغب "هي سِفارةٌ من الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم" التعريفات ص483.

والنبي الرسول هو الذي يحمل رسالة من الله إلى الناس في أمرٍ ديني أولا وبالذات ، ثمّ في أمر تشريعي ينظم العلاقة أولا بين الناس والله وقد يُنَظِّم هذه العلاقة بين الإنسان و الإنسان .

أما الرسول في اللغة فهو الذي أمره المرسِلُ بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض ، أي أنه إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام ، وقد جاء في كتاب التعريفات أنّ الرسول " هو المفضل بوحي خاص فوق وحي النبوة ، لأنّه هو منْ أوحى إليه جبريل أمين وحي السماء عليه أفضل الصلوات والتسليم بتنزيل الكتاب من الله " .ص215

وعليه فالرسول هو الذي يُؤمر بالتبليغ مطلقا ، وإن كان تابعا لنبي قبله أما النبي فهو الذي لا يؤمر بالتبليغ وهو المشهور . وقيل النبي هو الذي يبعث بشريعة تابعة لغيره ، أي تابعة لنبي قبله ، أما

إذا كان مستقلا فإنه يكون نبيا ورسولا . ومنه فالذين بُعثوا بعد موسى عليه السلام بالتوراة يسمون أنبياء والأصح الأول . فالرسول إذاً هو الذي يؤمر بالتبليغ مطلقاً ، وإن كان تابعا لنبي قبله . وعليه "قال الكلبي كل رسول نبي من غير عكس . وقالت المعتزلة لا فرق بينهما لأنّ الله تعالى خاطب محمدا مرة بالنبي وبالرسول مرة أخرى " التعريفات :ص105.

فائدة : الرسول يقال للواحد والجمع قال تعالى : (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم) وقال :(فقولا إنّا رسول ربِّ العالمين) . راجع المفردات في غريب القرآن :ص102.

المحاضرة الثالثة: تابع لمحاضرة مفاهيم ورؤى قرآنية

3- المعجزة والإعجاز

توطئة :

لا ريب أنّ معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم هي القرآن بما فيه من بيان و علوم وأمور غيبية غير محدودة ، وهو ما يتواءم مع شمولية وعالمية الدين الذي جاء ومحمد صلى الله عليه وسلم داعيا له ، وأنّ معجزة الأنبياء والرسل السابقين كانت هي الأخرى تتواءم وطبيعة العصر الذي نزلت ، وقد تميزت بكونها حسية تُرى بالعين المجردة ، ومن يطلبها الآن يجدها في خبر كان ولا يسلم شاهدٌ له بها إلا هذا القرآن ؛ وتلك نعمة يمنّها القرآن على سائر الكتب والرسل قال تعالى :" وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ...." .

إذاً هكذا لم تكن معجزة خاتم الأنبياء معجزة حسية ،تقرع الحس وتستولي على النفوس ، أجل لم تكن عصا تنقلب إلى حية كعصا موسى ، أو ناراً تصير بردا وسلاما كالنار التي أُلقي فيها إبراهيم عليه السلام، أو ناقة تخرج من صخر أصم ولها رغاء كناقة صالح ، او مريضا يشفى ، أو أعمى يصير بصيرا كما كان يفعل عيسى عليه السلام بإذن ربه ، بل كانت بمثابة خطاب لعقل الإنسان في قضايا مختلفة لا تذهب بذهاب زمانها ، بل هي باقية على مرّ العصور و الدهور تتحدى كل معتد أثيم .

فما هو التحدي ؟ و ما هي المعجزة؟ وبما يتحقق الإعجاز وكيف ؟

وإجابة منا على هذه الأسئلة نقول :

جاء في كتاب التعريفات أنّ المعجزة هي "أمرُ خارقٌ للعادة ، داعية إلى الخير والسعادة ، مقرونة بدعوى النبوة ، قُصِد بها إظهار صدق من ادّعى أنّه رسول من الله ".(ص129)، وهي مقرونة دائما بالتحدي وتسقط بالمعارضة ، والمراد بالتحدي هو طلب الإتيان بمثل الشيء مع القدرة ،"يُقال

تحدى فلان فلانا إذا دعاه إلى أمرٍ ليُظهر عجز ه فيه ، ونازعه الغلبة في قتال أو كلامٍ غيره ، ومنه أنا حُديَّاك أي ابرز لي وحدك ".

و"اعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم تحدى العرب قاطبة بالقرآن حين قالوا افتراه ، فأنزل الله عزّوجلّ عليه "أم يقولون افتراه قلْ فأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات "هود :13. فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تُشَاكل القرآن قال تعالى :" فأتوا بسورة من مثله " البقرة 23. ثمّ كرر هذا فقال :"وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله "البقرة 23، أي من كلامٍ مثله (...) فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء قال :" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً" الإسراء 88. فقد ثبت أنّه تحداهم به ، وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه ، لأنّهم لو قدروا على ذلك لفعلوا ، ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى ، فتارة قالوا سحر ، وتارة قالوا : شعر ، وتارة قالوا : أساطير الأولين . كل ذلك من التحير والانقطاع" .)البرهان في علوم القرآن ،ص383).

ومن أجل ذلك يمكن تعريف الإعجاز لغة بأنّه نسبة العجز إلى الغير ، قال تعالى :" أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي"البقرة . وقد عرّفه الشوكاني في الإرشاد بأنّه :" ارتقاء في البلاغة إلى حدٍّ خارج عن طوق البشر ولهذا عجزوا عن معارضته عند تحديهم "ص26 .وقيل : "هو سمو القرآن وعلوّه الى شأوٍ بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله ، سواء كان هذا العلو في بلاغته أو تشريعه أو مغيباته "(من روائع القرآن لسعيد رمضان البوطي:ص125) .

وهذا التعريف الأخير "هو المعتمد لدى جمهور العلماء والباحثين " كما ينقل ذلك البوطي في ذات الصفحة . وعموما فإعجاز القرآن هو إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله ، وليس المقصود بإعجاز القرآن تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم لعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن ،

فإنّ ذلك معلوم لدى كل عاقل ، وإنما الغرض إظهار أنّ هذا الكتاب حق ، وأنّ الرسول الذي جاء به صادق . فالمعجزات إذاً براهين من الله سبحانه إلى عباده بصدق رسله وأنبيائه .

والسؤال المطروح : متى يتحقق الإعجاز ؟

لا يتحقق الإعجاز إلا إذا توافرت أمور ثلاثة نجملها فيما يأتي :

أ- التحدي أي طلب المبراة والمعارضة .

ب- أن يكون الدافع إلى رد التحدي قائماً أي قيام المقتضى للمبراة والمعارضة .

ج- أن يكون المانع منتفيا ،أي انتفاء ما يمنعهم من معارضة القرآن .

شروط المعجزة الإلهية :

للمعجزة شروط خمسة نبّه عليها العلماء ، فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة وهي :

1- أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله رب العالمين .

2- أن تخرق العادة وتكون مخالفة للسنن الكونية .

3- أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على صدق دعواه .

4- أن تقع على وِفق دعوى النبي المتحدي بتلك المعجزة .

5- أن لا يأتي أحدٌ بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة .

أضرب الإعجاز أو أوجه الإعجاز : للإعجاز في القرآن أضرب هي :

1- الإعجاز البياني : ونلخص ذلك في حسن سبكه و مقدار الفصاحة في نظمه ، وفي روعته وبيانه . وقد تجلى ذلك على مستوى الكلمة والجملة والسورة .راجع:(كتاب البوطي السابق من ص 126-147).

2- الإعجاز العلمي : ونقصد به المظاهر العلمية المتجلية في النص القرآني بدءاً بكيف خلق الله الإنسان وانتهاءً عند آخر النظريات الحديثة التي أخبر القرآن بها منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنا من الزمان .

3- الإعجاز بالغيبيات : و"نقصد بالغيبيات تلك الأخبار المتعلقة بأحداث مقبلة ، والتي لم يظهرها بعد أيّ شاهد من العقل أو الحس أو الدلائل التي تعوّد الإنسان على الاعتماد عليها (...) ففي القرآن آيات كثيرة أخبرت عن أحداث ستقع في زمن مقبل ، وفيه آيات تحدثت عن مصائر أشخاص بأعيانهم ، وفيه نصوص تقرر قوانين ثابتة بالنسبة لكثير من المظاهر الكونية المحيطة بنا . وقد جاء الزمن فيما بعد بمصداق هذه الأخبار كلها ، دون أن يكون عليها أيّ شاهد من قبل ، من حس أو عقل أو أي بيّنة من البيّنات" .(البوطي المرجع السابق ، ص148.)ا.هـ

المحاضرة الرابعة: النزول القرآني

حقيقته وكيفياته

النزول في اللغة:

جاءت مادة نزل في اللغة بتصريفات كثيرة: نزل وأنزل، وتنزّل، ونزّل.. و غير ذلك ، كما جاءت هذه المادة بكثرة في القرآن الكريم بتصريفاتها المختلفة ؛ حيث بلغت أربعة وأربعين تصريفاً في 295 آية .

والنزول في الأصل: انحطاط من علو إلى أسفل. فيقال نزل فلان من الجبل، ونزل عن الدابة ، ويطلق على الحلول فيقال: نزل فلان بالمدينة أي حلّ بها ، والإنزال : الإحلال ، قال تعالى : (ربِّ أنزلني منْزَلاً مباركاً وأنتَ خيْرُ المُنزلينَ) المؤمنون :29 .

ويتعدى فعل "نزل" اللازم بالحرف كقولك: نزلت به نازلة ، وبالهمزة ، كقولك : أنزل الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم .

والمنزل : موضع النزول ، والمنزلة مثله ، وهي أيضا المكانة .

والنُّزُل : ما يعدّ للنازل من الزاد ، قال الله تعالى : (فنُزُلٌ من حميمٍ) الواقعة 92 .

النزول في القرآن الكريم :

ورد لفظ "النزول" في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : نزول مقيد بأنّه من الله عزّ وجل .

النوع الثاني : نزول مقيد بأنّه من السماء .

النوع الثالث : نزول مطلق غير مقيد بهذا أو ذاك .

فالنوع الأول وهو المقيد بأنّه من عند الله اختص بالقرآن الكريم فلم يرد إلاّ معه في آيات كثيرة، كقوله تعالى :

1- (قلْ نزّله رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبّكَ بِالحقّ) . النحل 102 .
2- (تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ) .الزمر 1 ، الجاثية 2 ، الأحقاف 2.
3- (تَنْزِيلُ الكِتَاب مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيم).غافر1،2 .
4- (تنزيلُ الكتابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ ربِّ العَالمَينَ) السجدة 2 .
5- (تنزيل من ربِّ العالمين).الواقعة 80 ، الحاقة 43 .

وهذا التنصيص بأنّه من الله جلّ وعلا وتخصيص القرآن بذلك له دلائله : ففيه بيان أنّه منزل من الله لا من مخلوق من مخلوقات الله ، كما تقول بذلك بعض الطوائف . وفيه بيان بطلان القول بخلق القرآن . وبطلان القول بأنّه فَاضَ على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال أو غير ذلك من أقاويل أهل الكلام والفلسفة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مستدلا بصريح الآيات السابقات :"فعُلِمَ أنّ القرآن العربي منزل من الله ، لا من الهواء ، ولا من اللوح ، ولا من جسم آخر ، ولا من جبريل ، ولا محمد ولا غيرها ".

واختيار مادة النزول وما تصرف منها للكلام عن مصدر القرآن الكريم فيه تشريف وتكريم لهذا الكتاب وبين علو منزلته كما قال تعالى: (حمّ ، والكتاب المبين ، إنَّا جعلناه قرآناً عربياً لعلَّكم تعقلون ، وإنّه في أمِّ الكتابِ لديناَ لعليٌّ حكيم) الزخرف 1-4 . فالنزول لا يكون إلا من علو .

وأما النوع الثاني وهو النزول المقيد بأنه من السماء. فيتناول نزول المطر من السحاب ، ونزول العذاب ، ونزول الملائكة من عند الله ، وغير ذلك .

فقد ورد في آيات كثيرة ذكر إنزال الماء من السماء كقوله تعالى :

1- (وأنْزَل من السَّمَاءِ ماءً فأخْرَجَ به من الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لكمْ) البقرة 22 .
2- (ومَا أنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فأحْيَا بهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) البقرة 164.

3- (وهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماء ماءً فأخرجنا به نباتَ كلِّ شيءٍ) الأنعام 99.

4- (أنزل ِمنَ السَّماءِ ماءً فسَالَتْ أوديَةٌ بقَدَرِها) الرعد 17 . وغيرها كثير.

والمراد بالسماء في هذه الآيات: السحاب أو مطلق العلو حيث فُسِّر في قوله تعالى : (ءأنتم أنزلتموه من المُزْنِ أمْ نحن المنزلون) الواقعة 69.فالسماء اسم جنس لكلّ ما علا و ارتفع .

وجاء في إنزال العذاب من السماء قوله تعالى :

1- (فأنزلنا على الذين ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)البقرة 59.

2- (إنَّا منزلون علىَ أهل هذه القرية رجْزاً من السماء بما كانوا يفسقون) العنكبوت 34 . والرجز هو العذاب.

3- (إنْ نشأْ ننزل عليهم منَ السماء آيةً فظلَّتْ أعناقُهُم لها خاضعينَ) الشعراء 4.

وفسرت "الآية " هنا بما عظم من الأمور القاهرة، أو ما ظهر من الدلائل الواضحة.

وقال تعالى في إنزال الملائكة من السماء :(قلْ لَّوْ كان في الأرضِ ملائكة يمشون مطمئنين لنزَّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رَّسولاً) الإسراء 95 .

وكذا قوله تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ منْ بَعْدِه من جُنْدٍ من السَّماء وما كُنَّا مُنْزِلِينَ) يس28 . فسِّر الجند هنا بالملائكة .

وأما النوع الثالث وهو الإنزال المطلق فهو عام لا يختص بنوع خاص من الإنزال. من ذلك قوله تعالى:

1- (وأنزلنا الحديدَ فيه بأْسٌ شديدٌ ومنافعُ للناس) الحديد 25. فقد فسر قوله :(ونزلنا) بـ(جعلنا) ، و(أظهرنا وخلقنا) .

قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله : (وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لأنّه أخرجه من المعادن وعلّمهم صنعته . فإنّ الحديد إنما خلق من المعادن ، ثمّ رُبِطَ هذا المعنى بأصل الإنزال لغة

فقال : والمعادن إنما تكون في الجبال ، فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم) .

وقد تبيّن لابن تيمية رحمه الله تعالى من استقرائه للآيات أنّه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلاّ وفيه معنى النزول المعروف، وأنّ هذا هو اللائق بالقرآن الكريم لأنّه نزل بلغة العرب .

وقوله سبحانه : (فأنزل الله سكينته عليه) الفتح 26 .

وقوله : (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) الفتح 03.

وقوله : (أنزل جنودا لم تَرَوْهَا) التوبة 26. وغيرها من الآيات ؛ حيث لم يرد فيها تعيين المنزل منه ، كما ورد في النوعين قبله ، فهو إنزال مطلق يفسر بحسب السياق ، أو بما ورد موَضّحاً في مواضعَ أخرى .

الفرق بين الإنزال والتنزيل :

ذهب إلى القول بالفرق بين اللفظتين جمع من اللغويين والمفسرين ، فهو قول الواحدي والزمخشري ، والراغب الأصفهاني، والسمين الحلبي ، وابن الزبير الغرناطي ، وغيرهم.

يقول الواحدي عند تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران :(نزّل عليك الكِتابَ بالحقِّ) إنما قال "نزَّل "وقال :(وأنزل التوراةَ والإنجيل) لأنّ التنزيل للتكثير ، والقرآن نزل نجوماً ، شيئاً بعد شيء، والتوراة والإنجيل نزلتا دفعة واحدة .

وقال الجرجاني في التعريفات مفرّقاً بين اللفظتين :" الفرق بين الإنزال والتنزيل : الإنزال يستعمل في الدفعة ، والتنزيل يستعمل في التدرج ".

وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته : "والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أنّ التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقا ومرة بعد أخرى والإنزال عام ". فمما ذُكر فيه التنزيل قوله تعالى: (ونزّلْناه تنزيلاً) الاسراء106 . وقوله (إنّا نحن نزّلْنا الذكرَ) الحجر 9 .

وأما الإنزال، فكقوله : (إنَّا أنزلناه في ليلة القدر) القدر1 . وإنما خصّ لفظ الإنزال دون التنزيل لما رُوِيَ أنّ القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا ثمّ نزل منجما أي على مواقع النجوم .

تنزلات القرآن الكريم :

للقرآن الكريم تنزلان، نزول جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة بالسماء الدنيا في ليلة القدر المباركة من شهر رمضان. ونزول منجم على الرسول في نحو ثلاثٍ وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث من بعثته إلى وفاته عليه الصلاة والسلام .

أولا : النزول الجملة

ويعني إنزال القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة القدر في شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا. وقد استدل العلماء على هذا الانزال بأدلة من القرآن والحديث والإجماع ، نذكر منها :

أ- القرآن الكريم

1- قال تعالى : "إنا أنزلناه في ليلة القدر "القدر 1 .
2- وقال :"إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين "الدخان 3 .
3- وقال : "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والقرآن "البقرة 185 .

لو أمعنا النظر في هذه الآيات لأدركنا أنّه استعمل فيها اللفظ "أنزل" وهو يفيد العموم والجملة في حين يفيد اللفظ نزّل التفرق .

ب- الحديث

1- أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال :"أُنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثمّ أُنزل نجوماً".

2- أخرج ابن أبي شيبة في (فضائل القرآن) من وجهٍ آخر عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال : " دُفِع إلى جبريل في ليلة القدر جملة واحدة فوضعه في بيت العزة ، ثمّ جعل ينزله تنزيلا ".

3- أخرج الحاكم والبيهقي والنسائي من طريق داوود بن أبي هند عن عكرمة عن بن عباس قال : "أُنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر ، ثمّ أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة ، ثمّ قرأ("ولا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحق وأحسن تفسيراً "الفرقان 33.

4- "وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مُكثٍ ونزّلناه تنزيلا ")الاسراء106.

وهي أحاديث كلّها مروية عن ابن عباس حِبْر الأمة وأسانيدها صحيحة كما ذكر ذلك السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن).

ج- إجماع العلماء

نقل الإمام القرطبي عن مقاتل بن حبان قوله بجماع العلماء على نزول القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

كما ذكر ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري هذا الإجماع وعلّق عليه بقوله:" إنه الصحيح المعتمد ".

حكمة نزول القرآن جملة واحدة:

أورد السيوطي في كتابه الإتقان قولا لأبي شامة أجمل فيه حِكَمَ نزول القرآن جملة واحدة فقال :"يذكر أبو شامة في المرشد الوجيز :إنّ السر في إنزاله جملة واحدة تفخيم أمره ، وأمر من نزل عليه ، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أنّ هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم . ولولا أنّ الحكمة الإلهية اقتضت وصولَه إليهم منجماً بحسب الوقائع لَهَبَطَ به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين : إنزاله جملة ، ثمّ إنزاله مفرقاً ، تشريفا للمنزل عليه".

يستخلص من هذا القول الحِكَمَ الآتية :

1- تعظيم شأن القرآن الكريم .
2- تعظيم شأن المنزل عليه .
3- إعلام سكان السموات السبع بأنّ هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الأنبياء .
4- تعظيم شأن الأمة المحمدية .
5- تعظيم شأن بني آدم عند الملائكة: يقول السخاوي :"في نزوله إلى السماء جملة تكريم لبني آدم ، وتعظيم شأنهم عند الملائكة ، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم".
6- تساوي التفضيل بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبين موسى عليه السلام قال السخاوي: (وفيه أيضاً التسوية بينه وبين موسى عليه السلام في إنزال كتابه جملة، والتفضيل لمحمد صلى الله عليه وسلم في إنزاله عليه منجماً ليحفظه، قال الله عزّ وجلّ:"كذلك لنثبت به فؤادك "الفرقان 32 . وقال عزّ وجلّ: "سنقرئك فلا تنسى "الأعلى 6).

ثانياً: النزول المفرّق

ويعني إنزال القرآن الكريم من بيت العزة بالسماء الدنيا منجماً مفرقاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي جبريل عليه السلام.

أدلة الإنزال المفرق:

استدل العلماء على التنزيل الثاني للقرآن الكريم بأدلة من الكتاب والحديث وأقوال العلماء.

أولا: أدلة الكتاب :

1- قال تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين "البقرة 23.

ولقد استدل العلماء من هذه الآية على النزول المنجم للقرآن من اللفظ "نزّلنا "فهو يفيد التفرق غب النزول لا الجملة.

2- قال تعالى: "وقال الذين كفروا لولا نزِّل عليه القرآن جملةً واحدة. كذلك لنثبِّت به فؤادك ورتلْناهُ ترتيلا "الفرقان 32.

وقد استدل العلماء من هذه الآية على النزول المنجم للقرآن الكريم من:

أ- اللفظ "نُزِّل " يفيد التفرق في النزول لا الجملة.

ب- اللفظ "لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة ": حيث أنّ تمني الكفار بأن ينزل القرآن جملة واحدة يفيد أنّه لم ينزل كذلك، وإنما نزل مفرقاً منجماً.

ت- اللفظ"كذلك ": أي كذلك أنزلْناه منجماً على عكس ما تمنى الكفار.

ث- اللفظ "لنثبت به فؤادك "، إذْ التثبيت لفؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا بالنزول المنجم الذي يُسهِّل عليه حفظه وتحفيظه لصحابته الأبرار.

3- قال تعالى: "وقرآناً فرقْناه لتقْرَأه على النّاس على مُكْثٍ ونزّلْناه تنزيلاً"الاسراء 106.

وقد استدل العلماء من هذه الآية على النزول المنجم للقرآن الكريم من:

أ- اللفظ "وقرآناً فرقْناهُ " أي جزّأناه وأنزلناه مفرقاً على حسب الحوادث والنوازل.

ب- اللفظ " على مكْثٍ" أي على مُهْلٍ، ولا تكون القراءة على مُهْلٍ إلا بالتفرق في النزول.

ت- اللفظ " ونزّلْناه تنزيلاً" وهو يفيد التفرق في النزول.

ثانيا: أدلة الحديث:

1- أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: "أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثمّ أُنزل نجوماً ".

2- أخرج البخاري عن ابن عباس قال: "بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثمّ أُمر بالهجرة عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث ٍ وستين ".

3- أخرج ابن عساكر من طريق أبي نُضرة قال: كان أبو سعيد الخدري يعلّمنا القرآن خمس آياتٍ بالغداة وخمسَ آياتٍ بالعِشّي ويُخْبِرُ أنّ جبريل نزل بالقرآن خمس آيات، خمس آيات.

ثالثا: أقوال العلماء

يُجمع العلماء على صحة التنزيل المنجم للقرآن، وسندهم في ذلك دلائل القرآن والحديث، ومبرر إجماعهم أنّ القرآن نزل على نبي أميّ.

قال ابن فُوْرَك: "قيل أُنزلت التوراة جملة لأنّها نزلت على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى، أنزل الله القرآن مفرقاً لأنّه أُنزل غير مكتوب على نبي أمي ".

حكمة النزول المفرق:

قال أبو شامة في المرشد الوجيز:"لولا أنّ الحكمة الإلهية اقتضت وصولَه إليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة وإنزاله مفرقا، تشريفاً للمنزل عليه " .

يمكننا تأصيل حكمة نزول القرآن منجما فيما يأتي:

1- تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنّ الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشدّ عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجدد العهد به، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لُقْياه جبريل.

2- تيسير حفظ القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم، وتتجلى معانيها في تيسير حفظ التلاوة، وتيسير حفظ التدبر، وحفظ تبليغ وحفظ تلطف.

3- تثبيت أفئدة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

4- تيسير حفظ القرآن على الصحابة سواء أكان حفظ التلاوة أو التدبر أو التلطف والتبليغ.

5- مسايرة التدرج في التشريع والتكليف بالأحكام.

6- مسايرة الاجابة عن الأسئلة والوقائع والحوادث.

7- إثبات شواهد إعجاز القرآن.

8- تأصيل ألوهية التنزيل القرآني.

أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم:

للعلماء في أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه على الاطلاق أقوال نجملها ونرجّح بينها فيما يأتي:

1 - أول ما أُنزل:

رُوي في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله أنّه سُئل أي القرآن أُنزل قبل؟ قال: يا أيها المدّثر، فقيل له: بل اقرأ باسم ربك. فقال أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني جاورت بحراء فلما قضيت جواري نزلتُ فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمالي، ثمّ نظرت إلى السماء فإذا هو يعني جبريل فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثّروني فأنزل الله يا أيها المدّثر).ا.هـ.

فلا شكّ أنّ ظاهر هذا الحديث يدلّ على أنّ سورة المدّثر هي أول ما نزل من القرآن الكريم. وقد أجاب السيوطي عن هذا الحديث بقوله: ويُجاب عن هذا بأجوبة:

أحدها: أنّ السؤال كان عن سورة بكاملها، فبيّن أنّ سورة المدثر نزلت بكاملها قبل نزول تمام سورة "إقرأ" فإنها أول ما نزل منها صدرها؟ ويؤيِّد هذا الحديث ما في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدِّث عن فترة الوحي فقال في حديثه: بينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعتُ رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض، فرجعت فقلت: زملوني، فأنزل الله "يا أيها المدّثر".ا.هـ.

فقوله (الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي) يدلّ دلالة صريحة على أنّ القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها قوله:(اقرأ باسم ربك....مالم يعلم).

وقوله صلى الله عليه وسلم (فإذا هو) ف الحديث الأول يعني أنّه قد عرفه وأنه الملك الذي جاءه لأول مرة بحراء .

هذا إضافة الى حالة الرجفة التي أصابت الرسول صلى الله عليو سلم، والتي تدلّ على أنّه كانت ثمة معرفة مسبقة بالملك، وقد عانى فيها الرسول من شدة الملك وقوته كما يثبت ذلك حديث عائشة رضي الله عنها الذي توريه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: لما جاءه الملك قال له: اقرأ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثمّ أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت ما أنا بقارئ فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثمّ أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ، فغطّني الثالثة ثمّ أرسلني فقال:"اقرأباسم ربك الذي خلق...حتى بلغ ما لم يعلم "، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجُف بوادره.ا.هـ.الحديث رواه البخاري.

فالطريقة التي استعملها جبريل في محاولة استجماع فكر الرسول صلى الله عليه وسلم بثَّت في قلب الرسول من الرعب ما بثّت، حتى أنّه كان كلما رأى جبريل أخذته الرجفة.

إذاً، فأول ما نزل من القرآن الكريم هو صدر سورة العلق كما نصّ على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها.

آخر ما نزل:

اختلف العلماء في آخر ما نزل من القرآن اختلافا كبيرا حتى بلغت أقوالهم في ذلك تسعة أقوال. فمن قائل أنّ آخر ما نزل هي آية الربا (وهي الآية 278م من سورة البقرة) لما أخرجه ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: (آخر آية نزلت آية الربا).

زمن قائل آخر آية نزلت آية الدين (وهي الآية 282 من سورة البقرة) وهي أطول آية في القرآن الكريم على الإطلاق ، لما رُوي عن سعيد بن المسيِّب (أنّه بلغه أنّ أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين).

ومن قائل أنّ آخر ما أنزل آية الكلالة (وهي آخر آية من سورة النساء ورقمها 176) والمراد بالكلالة هنا الميت لا ولد له ولا والد.

ودليل هذا القول ما رواه الشيخان عن البراء بن عازب قال:" آخر آية نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) ..."الآية

وقد حُملت الأُخروية هنا في قول البراء بن عازب على أنها مقيدة بما يتعلّق بالمواريث، أي أنها آخر آية نزلت من آيات المواريث.

وقيل آخر آية نزلت آية المائدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) الآية 3. ودليل هذا القول ما رواه الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها.

ويُحمل هذا القول على أنّ آية المائدة هي آخر ما نزل في الحلال والحرم. ففي هذه الآية دلالة على كمال الدين وتمام النعمة والفرائض والأحكام على المسلمين، وتحريم مكة على الكافرين.

وقد نزلت هذه الآية في حجة الوداع وهو واقف بعرفة. وقد عاش بعده الرسول صلى الله عليه وسلم احدى وثمانين يوماً، ولا يُعقل أن ينقطع الوحي عن رسول الله عليه أفضل الصلوات والتسليم كل هذه المدة. وبذلك يثبت قول ابن عباس رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري في صحيحه: عن عكرمة عن ابن عباس أنّه قال: آخر شيء نزل من القرآن (واتقوا يوما تُرجعون فيه إلى الله ثمّ توفىّ كل نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون). البقرة 281.

وقد عاش النبي بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثمّ مات ليلة الاثنين في الثالث من ربيع الأول. وهذا هو الراجح الذي اختاره العلماء وعلى رأسهم جلال الدين السيوطي. ا.هـ

المحاضرة الخامسة: جمع القرآن

جمع القرآن الكريم في عهدين: عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين. وقد كان لكل جمع خصائصه ومزاياه.

و تطلق كلمة (الجمع) و يراد بها معنيان:

أولا: الجمع في الصدور ، عن طريق الحفظ و الاستظهار.

ثانيا: الجمع في السطور، عن طريق الكتابة والنقش.

وقد كان لجمع القرآن في عصر النبوة الأمران معا.

أما جمع القرآن في الصدور :

فكما هو معلوم فقد نزل القرآن الكريم على النبي الأمي، فكانت همته منصرفة الى حفظه و استظهاره ليحفظه كما نزل عليه ثم يقرأه على الناس على مكث ليحفظوه و يستظهروه ، و من شأن الأمي في العادة ان يعتمد على حافظته و ذاكرته ، لأنه لا يقرأ و لا يكتب و لقد كانت الامة العربية على عهد نزول القرآن تتمتع بخصائص العروبة الكاملة ، التي منها قوة الذاكرة و سرعة الحفظ و سيلان الأذهان ، و كان العربي يحفظ مئات الآلاف من الاشعار (المعلقات العشر) على الرغم من كثرة اشعارها و صعوبة حفظها و يعرف الأحساب و الانساب فيستظهرها عن ظهر قلب و لما جاءهم القرآن الكريم بهرهم بقوة بيانه و روعة أحكامه فاستحوذ على قلوبهم و أفكارهم حتى انصرفت هممهم اليه يحفظونه و يستظهرون آياته و سوره .

أما عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد بلغ من حرصه الشديد على حفظ القرآن الكريم ان يحيي الليل بتلاوة آيات القرآن في الصلاة، عبادة و تلاوة و تدبرا لمعانيه، حتى تفطرت قدماه الشريفتان من كثرة القيام امتثالا لأمر الله العلي العزيز، لذلك فلا عجب أن يكون صلى الله عليه سلم سيد الحفاظ و مرجع المسلمين الاول في كل ما يعنيهم من امر القرآن.

وأما الصحابة رضـوان الله عليهم فقد كانوا يتسابقون الى تلاوته ومدارسته ويبذلون قصارى جهدهم لاستظهاره وحفظه وكان الرسول يذكي فيهم روح العناية بحفظه ويبعث الى المدن والقرى من يعلم ويقرأ أهلها القرآن كما بعث (قبل الهجرة) مصعب بن عمير وابن أمي مكتوم الى المدينة ومعاد بن جبل الى مكة بعد الهجرة.

فحفاظ القرآن في حياة الرسول لا يحصون، ويكفي ان نعلم ان عدد الذين استشهدوا في معركة اليمامة يزيد على سبعين من كبار الحفاظ، كما قتل مثل هذا العدد ببئر معونة.

جمع القرآن في السطور :

كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم كتّاب للوحي، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته زيادة في التوثيق و الضبط و الاحتياط، حتى تظاهر الكتابة الحفظ و يعاضد التسجيل المسطور ما اودعه الله في الصدور و من أشهر كتابه زيد بن ثابت وأُبَي بن كعب ومعاد بن جبل و معاوية بن سفيان و الخلفاء الراشدون و أبو زيد و غيرهم من الصحابة الأجلاء.

جمع القرآن في عهد أبي بكر :

روى البخاري في صحيحه قصة هذا الجمع ننقلها بنصها.

عــن زيد بن ثابت رضي الله عنه أ نه قال :(أرسل إلــي ابو بكــر رضي الله عنه مقتل أهــل اليمامة (أي عقب استشهاد الحفاظ في معــركة اليمامة) فإذا عمر جالس عنده، فقال أبوبكر: إن عمر جاءني فقال: (إنّ القتل قد استحر (أي كثر و اشتد) يوم اليمامة بقراء القرآن ، و إني أخشى أن يستمر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير ، و إني أرى أ تأمر بجمع القرآن ، و كيف افعل مالم يفعلــه رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ فقال: عمر رضي الله عنه: هو و الله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله تعالى صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك رأي.. قال زيد: فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول اللــه صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن و اجمعه.. وقال زيد: فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به.. فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر.. فتتبعت القرآن أجمعه من اللخاف، و العسب، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع (أبي خزيمة الأنصاري) لم أجدها عند أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ..) إلى (وهو رب العرش العظيم) أي إلى آخر السورة.. فكانت الصحف عند (أبي بكر) حتى توفاه الله تعالى ثم عند (عمر) حتى توفاه الله تعالى، ثم عند (حفصة بنت عمر) رضي الله عنهم أجمعين.

الخطة الرشيدة التي انتهجها زيد بن ثابت في جمع القرآن :

انتهج زيـد بن ثابت خطة في غاية الدقة و الاحكام في جمعه للقرآن الكريم فيها ضمان لإحاطة هذا الكتاب المـجيد، بما يليق به من تثبت بالغ، و حذرٍ دقيق ، فلم يكتف بما حفظ في قلبه و لا بما كتب بيده، و لا بما سمع بإذنه، بل جعل يتتبع و يستقصي آخذا على نفسه أن يعتمد في جمع القرآن على مصدرين اثنين :

أ - ما كان محظوظا في صدور الرجال

ب - ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلا بـد أن يتضافر الأمران (الحفظ والكتابة) وبلغ من شـدة حرصه واحتياطه أنه كان لا يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. يدل عليه ما رواه أبـو داود أنا أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر، ولزيد: (اقعدا على باب المسجد فمن جاءكا بـشاهدين علـى شيء من كتاب الله فاكتباه). قـال ابن حجر: المراد بالشاهدين: الحفظ والكتابة.

وقال السخاوي المراد بالشاهدين: رجلان يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

وذلك غاية في التثبت والإحكام من الصديق رسمه منهجا لزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

جمع القـرآن في عهد عثمان :

اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان و تفرق المسلمون في الاقطار و الامصار و اشتهـر في كل بلد من البلاد الاسلامية قـراءة الصحابي الذي علمهم القرآن فأهل الشام كانوا يقرءون بقراءة

أبي بن كعب و أهل الكوفة كانوا يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود و غيرهم كان يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري فكان بينهم اختلاف في حروف الآداء و وجوه القراءات حتى كاد الامر يصل الى النزاع و الشقا ق بينهم، وكاد بعضهم يكفر بعضا فأفزع ذلك حذيفة بن اليمان - وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينيا و أ ذربجان مع أهل العراق - فقدم على عثمان و قال له : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود و النصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت ، و عبد الله بن الزبير ، و سعيد بن العاص، و عبد الرحمان بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة و أرسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا ، و امر بما سواه من القرآن في صحيفة أو مصحف أن يحرق). " رواه البخاري ".

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان :

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان: هو أن الجمع في عهد ابي بكر كان عبارة عن نقل القرآن و كتابته في مصحف واحد مرتب الآيات جمعه من اللخاف و العُسُب و الرِّقاع وعظام الاكتاف وغيرها، و كان سبب الجمع موت الحفاظ و الخوف من ضياع القرآن، وأما جمع عثمان فقد كان عبارة عن نسخ عدة نسخ من المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر لترسل الى الآفاق الاسلامية و كان سبب الجمع اختلاف القراء في قراءة القرآن بسبب اتساع رقعة الدولة الاسلامية و

اختلاط المسلمين بالأعاجم.

فوائد

مـزايا مصحف أبي بكر الصديق:

امتازت الصحف التي جمعت في عهد ابي بكر الصديق في مصحف واحد بعدة مزايا أهمها:

أولا: التحري الدقيق التام والتثبت الكامل.

ثانيا: لم يسجل في المصحف الا ما ثبت عدم نسخ تـلاوته.

ثالثا: اجمـاع الامـــة عليه وتواتر ما سجل فيه من الآيات القرآنية.

رابعا: شمول المصحف للقراءات السبع التي تقلت بالنقل الثابت الصحيح.

وهذه المزايا جعلت الصحابة يلهجون بالثناء العاطر على أبي بكر الصديق حيث حفظ القرآن الكريم من الضياع، وذلك بتوفيق من الله عـزوجل ومدد من عنده، وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أعظم الناس في المصاحف أجـرا أبو بكر الصديق، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله.

* لمـــاذا لم يجمع القرآن في عهد الرسول في مصحف واحد؟

والجواب: لم يجمع القرآن في مصحف واحد لاعتبارات عدة:

أولها: أنه لم يوجد من دواعي كتابته في صحف أو مصاحف مثل ما وجد في عهد أبي بكر حتى كتبه في مصحف، ولا مثل ما وجد في عهد عثمان حتى نسخه في مصاحف، فالمسلمون وقتئذ يخير، والقراء كثيرون، والاسلام لم يستبعد عمرانه، والفتنة مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة وأدوات الكتابة غير ميسورة، وعناية الرسول باستظهار القرآن تفوق الوصف.

ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء من آية أو آيات.

ثا لثها: أن القرآن لم ينزل مرة واحدة بل نزل منجما في مدى عشرين سنة او أكثر.

رابعها: أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله، فنزوله كان على حسب الاسباب أما ترتيبه فلغير ذلك من الاعتبارات. و لو جمع القرآن في مصحف أو مصاحف و الحال على ما شرحنا. لكان عرضة لتغيير الصحف او المصاحف كلما وقع نسخ او حدث سبب، بل كيف يجمع و لم يكن بين نزول آخر آية من القرآن ووفاة الرسول سوى تسع ليال.

* ما لمقصود من قول زيد في رواية البخاري (حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة لم أجدها عند غيره ؟).

والجواب: أن زيدا رضي الله عنه لم يجد هذه الآية مكتوبة عند احد من الصحابة الا عند أبي خزيمة الانصاري، و ليس المراد أنها لم تكن محفوظة، اذ أن زيدا نفسه كان يحفظها، و كان كثير من الصحابة يحفظونها، و لكنه أراد أن يجمع بين (الحفظ و الكتابة) زيادة في التوثق و مبالغة في الاحتياط، و على ذلك النهج الرشيد تم جمع القرآن.

ترتيب آيات القرآن وسوره

1- تعريف الآية:

لغة: أصلها بمعنى العلامة، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ} [البقرة: 248].

اصطلاحاً: فهي قرآن مركب من جمل ولو تقديراً، ذو مبدأ ومقطع، مندرج من سورة.

2- تعريف السورة:

لغة: من سور المدينة، أو من السورة بمعنى المرتبة والمنزلة الرفيعة.

اصطلاحاً: قرآن يشمل على آيٍ ذوات فاتحة وخاتمة . وأقلها ثلاث آيات.

3- حكمة تقسيم القرآن إلى سور وآيات :

منها: أن القارىء إذا ختم سورة أو جزأً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله.

ومنها: أن الحافظ إذا حَذَق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة، فيعظم عنده ما حفظه، ومنه حديث أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلّ فينا.

4-مصدر ترتيب القرآن الكريم :

أ - مصدر ترتيب آيات القرآن :

ترتيب الآيات القرآنية على ما هو عليه الآن أمـر توقيفي من رسول الله صلى الله عليه و سلم وحكى بعضهم الاجماع على ذلك و جزم السيوطي رحمه الله بذلك قال: الاجماع و النصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك.

و عن عثمان بن ابي العاص رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه و سلم اذ شخص يبصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فامرني ان اضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة(إن الله يامر بالعدل و الاحسان و إيتاء ذي القربى) .

وقد ثبت في الصحيح أن جبريل عليه السلام كان يعارض الرسول القرآن كل عام مرة في رمضان وكان ذلك على الترتيب المعروف الآن. كما ثبتت قراءته لسور معروفة بترتيب آياتها كالبقرة وآل عمران والنساء وغيـرها.

فعن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعثمان بن عفان - و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجا - نسختها الآية الاخرى فلمْ تكتبها أو تدعها ؟ قال : يابن أخي لا أغير شيئا من مكانه .

و قال السيوطي رحمه الله بعد أن ذكر الاحاديث المخصوصة : تدل قراءته لها بمشهد من الصحابة على أنّ ترتيب آياتها توقيفي و ما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبا سمعوا النبي صلى الله عليه و سلم يقـرأ على خلافه فبلغ ذلك مبلغ التواتر.

ب - مصدر ترتيب سور القرآن:

لقد اختلف العلماء في ترتيب سور القرآن الكريم على ثلاثة أقوال معروفة:

الاول: أن ترتيبها كان توقيفيا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم كما أخبر به جبـــريل عليه السلام عن ربه عز و جل.

الثاني: أن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة رضى الله عنهم.

الثالث: أن بعض السور ترتيبها توقيفي و بعضها باجتهاد من الصحابة.

و الراجح هو القول الاول لأن هذا الترتيب هو الذي رتبه عثمان ووافقه على ذلك الصحابة دون منازع .

قال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها انما كان بالوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا و قد حصل اليقين من النقـل المـتواتـر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف.

والأدلة على أن ترتيب السور كلها توقيفي كثيرة نذكر منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: " أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل".

والسبع الطوال: من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الأعراف، فهذه ست سور، واختلفوا في السابعة أهي الأنفال وبراءة معا؛ لعدم الفصل بينهما بالبسملة، بجعل الأنفال وبراءة بمنزلة سورة واحدة أم هي سورة يونس؟

والمئون: هي السور التي تزيد على مائة آية، أو تقاربها، والمثاني هي السور التي تلي المئين في عدد الآيات، أو هي السور التي يكون عدد آياتها أقل من مائة آية؛ لأنها تُثَنَّى أي تكرر أكثر مما تُثَنَّى الطوال والمئون.

وأما المفصل: فهو ما يلي المثاني من قصار السور. وقد اختلف في أوله فقيل: من أول سورة الصافات، وقيل: من أول سورة الفتح، وقيل: من أول سورة الحجرات، وقيل: من أول سورة ق - وهو الذي رجحه الحافظان: ابن كثير، وابن حجر- وقيل غير ذلك، واتفقوا على أن منتهى المفصل آخر القرآن الكريم.

قال أبو جعفر النحاس: وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد.

ويشهد لذلك من حيث الدراية والعقل واقع الترتيب وطريقته، وذلك من وجهين لا يشك الناظر فيهما، أن الترتيب بين السور توقيفي:

الأول: مما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءَ، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاءً، وأخرت طس عن القصص.

الثاني: ما راعاه العلماء الأئمة في بحوثهم من التزام بيان أوجه التناسب بين كل سورة وما قبلها، وبيان وجه ترتيبها.

رسم المصحف العثماني وآراء العلماء فيه.

المراد برسم القرآن هنا كيفية كتابة الحروف والكلمات في المصحف على الطريقة التي كتبت عليها في المصاحف التي أمر عثمان اللجنة الرباعية فكتبتها ووزعتها في الأمصار.

ويطلق عليه: رسم المصحف، ومرسوم الخط.

آراء العلماء فيه:

الرأي الأول: أن الرسم العثماني ليس توقيفاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به، ولا يجوز مخالفته.

الرأي الثاني: أن رسم المصحف اصطلاحي لا توفيقي، وعليه فيجوز مخالفته.

الرأي الثالث: أنه توقيفي لا يجوز مخالفته، وهو مذهب الجمهور.

واستدلوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كُتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وقد أقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابتهم وقضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

أقوال الفقهاء في الرسم العثماني: جمهور العلماء ذهبوا إلى منع كتابة المصحف بما استحدث الناس من قواعد الإملاء، للمحافظة على نقل المصحف بالكتابة على الرسم نفسه الذي كتبه الصحابة.

- وقد صرح الإمام أحمد فيه بالتحريم فقال: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك.

- وسئل الإمام مالك: هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى.

- وجاء في الفقه الشافعي: إن رسم المصحف سنة متبعة.

- وجاء في الفقه الحنفي: أنه ينبغي ألا يكتب بغير الرسم العثماني.

وهكذا اتخذت الأمة الإسلامية الرسم العثماني سنة متبعة إلى عصرنا هذا، كما قال البيهقي في "شعب الإيمان": واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها.

وكان ذلك للمبالغة في المحافظة والاحتياط على نص القرآن، حتى في مسألة شكلية، هي كيفية رسمه.

لكن استثنوا من ذلك نقط المصاحف وتشكيلها، لتتميز الحروف والحركات، فأجازوا ذلك بعد اختلاف في الصدر الأول عليه، وذلك لما اضطروا إلى ذلك لتلافي الأخطاء التي شاعت بسبب اختلاط العرب بالعجم.

تحسين الرسم العثماني:

1-كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل اعتماداً على السليقة العربية التي لا تحتاج إلى مثل هذه النقط والتشكيلات، وظلت هكذا حتى دخلت العجمة بكثرة الاختلاط، وتطرق اللحن إلى اللسان العربي، عندئذ أحسَّ أولو الأمر بضرورة تحسين كتابة المصاحف بالتنقيط والشكل والحركات مما يساعد على القراءة الصحيحة.

2- من شكل المصحف ؟

أ- اختلف العلماء في ذلك، منهم من قال: أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه وضع ضوابط اللغة العربية بأمر من سيدنا علي بن أبي طالب. يروي أنه سمع قارئاً يجر اللام من رسوله في قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} [التوبة: 3]، فغير المعنى، ففزع لهذا اللحن وقال: عز الله وجل أن يبرأ من رسوله، فعندئذ قام بوضع ضوابط التشكيل حفاظاً عليه من اللحن.

ب- ومن العلماء من قال: أول من شكل المصحف: الحسن البصري، ويحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم الليثي بأمر من الحجاج.

3- تدرج تحسين رسم المصحف:

كان الشكل في الصدر الأول نقطاً، فالفتحة نقطة على أول الحرف، والضمة نقطة على آخره، والكسرة نقطة تحت أول الحرف، ثم تدرج، فأصبحت الفتحة شكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسرة تحته، والضمة واواً صغيرة فوقه، ثم بعد ذلك مر المصحف في طور التجديد والتحسين على مر العصور حتى استقر على هذا الشكل الذي هو عليه الآن من الخطوط الجميلة الواضحة، وابتكار العلامات المميزة، والاصطلاحات المفيدة، فجزى الله من سبقونا في خدمة كلام الله خير الجزاء.

المحاضرة السادسة: علم أسباب النزول

لمعرفة أسباب النزول أثر كبير في فهم معنى الآية الكريمة؛ ولهذا كانت عناية العلماء بهذا العلم فائقة ، حيث أفرد له بالتصنيف جماعة من العلماء كان أقدمهم (علي بن المديني) شيخ البخاري رحمه الله .

ومن أشهر ما كُتِب في هذا الفن (أسباب النزول) للواحدي ، كما ألّف فيه ابن حجر العسقلاني ، وكذا ألف فيه السيوطي كتاباً عظيما سمّاه (لباب النقول في أسباب النزول) .

ولمعرفة أهمية هذا النوع من علوم القرآن، والتأكد من ضرورته لفهم معاني الآيات الكريمة نستطيع أن نقول: إنّ بعض الآيات لا يمكن فهمها أو معرفة أحكامه إلا على ضوء سبب النزول فمثلا قول الله تعالى:"ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله"البقرة :115 . فإنا لو تُركنا ومدلول اللفظ، لاقتضى أنّ المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفرًا ولا حضرًا، وهو خلاف الإجماع. فلما عرف سبب نزولها عُلِمَ أنّها نزلت فيمن كان في سفر وأضاع القبلة فلم يعرف جهتها، فإنّه يجتهد ويتحرى ثم يصلي فإلى أي جهة صلى تصح صلاته ولا تجب عليه الإعادة فيما إذا تبيَّنَ له بعد الانتهاء خطأ توجهه، فالآية إذاً ليست عامة بل هي خاصة لمن جهل القبلة فلم يعرف جهتها.

فما هو سبب النزول ؟

الجواب: قد تحصل واقعة ، أو تحدث حادثة ، فتنزل آية أو آيات كريمة في شأن تلك الواقعة أو الحادثة ، فهذا هو ما يسمى بـ(سبب النزول) .

وقد يعرض سؤال على النبي صلى الله عليه وسلم بقصد معرفة الحكم الشرعي فيه، أو الاستفسار عن أمر من أمور الدين، فتنزل بعض الآيات الكريمة فهذا أيضاً يسمى بـ(سبب النزول) .

مثال الحادثة ما رواه البخاري عن (خبّاب بن الأرت) رضي الله عنه قال : كنت قيناً أي (حداداً) وكان لي على العاص بن وائل دين ، فجئت أتقاضاه ديني ، فقال لي : لا أعطيك دينك حتى تكفر بمحمد وتعبد اللات و العزّى ، فقلت : لا أكفر حتى يميتك الله ثمّ يبعثك ، فقال :إنّي إذاً لميّت ثمّ مبعوث ، فانظرني إلى ذلك اليوم فسأُوتى مالاً وولداً فأُوَفيك دينك ، فأنزل الله عزّ وجلّ قوله :" أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالا وولداً ، اطلع الغيب أم اتّخذَ عند الرحمن عهداً . كلا سنكتب ما يقول ونمدُّ له من العذاب مدّاً، ونرثه ما يقول ،ويأتينا فرداً.".

ومثال السؤال ما رُوي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّه قال: يا رسول الله، إنّ اليهود تغشانا، ويكثرون مساءلتنا عن الأهلة. فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثمّ يزيد حتى يستوي ويستدير ثمّ ينتقص حتى يعود كما كان؟ فأنزل الله " يسألونك عن الأهلّة قلْ هي مواقيتُ للناس والحج ..".

كيف يُعرف سبب النزول ؟

يظهر مما سبق أنّ أسباب النزول لا يمكن أن تدرك بالرأي ، ولابدّ فيها من الرواية الصحيحة والسماع ممن شاهدوا التنزيل ، أو وقفوا على الأسباب وبحثوا فيها من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن اكتسبوا علومهم على أيدي العلماء الموثوقين . وقد قال ابن سيرين: " سألتُ عبيدة عن آية من القرآن . فقال :اتق الله وقل سداداً . ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن ".

ويعتمد في معرفة سبب النزول على (النقل الصحيح) فإذا صرّح الراوي بلفظ السبب فهو نص صريح فيه كقول الراوي :سبب نزول هذه الآية كذا وكذا... !

وكذلك إذا أتى بفاءٍ تعقيبية داخلة على مادة النزول كقوله (حدث كذا ..أو سُئل النبي عليه السلام عن كذا فنزلت (فهو نص صريح في سبب النزول أيضاً .

وقد لا تكون الصيغة نصاً في السبب كقولهم (نزلت هذه الآية في كذا ..) فقد يراد منه سبب النزول، وقد يراد ما تضمنته الآية من أحكام، فيكون مثل قوله: عنى بهذه الآية كذا ..قال الزركشي في البرهان :قدْ عُرِف من عادة الصحابة والتابعين أنّ أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا ..فإنّه يريد بذلك أنّ هذه الآية تتضمن هذا الحكم ، لا أنّ هذا كان سبب نزولها . وقال ابن تيمية: قولهم: (نزلت هذه الآية في كذا يُراد به تارةً سبب النزول ، ويُراد به تارة أنّ ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب فيه .)

فوائد معرفة أسباب النزول:

قد يظنّ بعض الناس أنّه لا طائل تحت هذا الفن، وليس له أثر كبير لجريانه مجرى التاريخ والقصص، فإنّ أسباب النزول على زعمهم ليست ضرورية لمن أراد تفسير كتاب الله، وهذا زعم خاطئ وقول مردود لا يصدر من عالم بالكتاب. ويكفينا لمعرفة أهمية هذا الفن ذكر آراء بعض العلماء.

1- قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها، وبيان نزولها.
2- وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورِّث العلم بالمسبب

ويمكن حصر فوائده فيما يأتي:

1- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. ومثاله: ما روي أنّه أُشكل على عروة بن الزبير رضي الله عنه معنى قوله تعالى:" إنّ الصفا والمروةَ من شعائر الله، فمن حجّ البيت أو اعتمر، فلا جناحَ عليه أنْ يطَّوَّف بهما ..."البقرة :158. فإنّ ظاهر الآية الكريمة يشير إلى عدم وجوب السعي بين الصفا والمروة حتى قال عروة بن الزبير لخالته عائشة أم المؤمنين:يا خالة إنّ الله تعالى يقول :" فلا جناح عليه أن يطوف بهما " فأرى أنّه لا

بأس على الإنسان أن يترك السعي بينهما ؟ ! فقالت له عائشة، بئس ما قلت يا ابن أختي، لو كان الأمر كما ذكرتَ لقال الله تعالى: فلا جناح عليه ألاّ يطّوف بهما ..ثمّ أخبرته بأنّ الناس في الجاهلية كانوا يسعون بين الصفا والمروة وكانوا يحجون في سعيهم (لصنمين) أحدهما على الصفا يسمى (إسافا) والثاني على المروة ويسمى (نائلة) ، فلما دخل الناس في الإسلام تحرَّج بعض الصحابة من السعي بينهما خشية أن يلتبس الأمر بعبادة الجاهلية ، فنزلن الآية الكريمة تدفع عنهم الإثم والحرج وتوجب عليهم السعي لله تعالى لا للأصنام . فقد ردت عائشة رضي الله عنها على عروة فهمه وكان ذلك بسبب النزول.

2- تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أنّ العبرة بخصوص السبب. مثاله: ماروي من أنّ مروان بن الحكم " أشكل عليه معنى قوله تعالى: " لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوْا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب " آل عمران :188 . فقال لخادمه: اذهب إلى ابن عباس فقُل له :(لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبُنّ أجمعين) . فبيَّن له ابن عباس رضي الله عنهما ما أزال عنه الإشكال وقال له: إنّ الآية نزلت في أهل الكتاب (اليهود) حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، أروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه ، و استحمدوا بذلك إليه فنزلت الآية" . رواه الشيخان.

3- دفع توهم الحصر فيما ظاهره الحصر. ومثاله: ما روي عن الشافعي رحمه الله تعالى في قوله تعالى:" قل لا أجد فيما أُوحيَ إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنّه رجس أو فِسقاً أهلّ لغير الله به .." فقد قال ما معناه: إنّ الكفار لما حرموا ما أحلّ الله، وأحلوا ما حرّم الله، وكانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنّه قال: لا حلال إلا ما حرّمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه، فلم يقصد فلم يقصد حلّ ما وراءه وإنما القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل، قال إمام الحرمين: وهذا في غاية الحسن ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية.

4- معرفة اسم من نزلت فيه الآية، وتعيين المبهم. مثاله: زعم مروان أنّ قوله تعالى: " والذي قال لوالديه أفٍّ لكما ..." الأحقاف :17. أنها نزلت في (عبد الرحمن بن أبي بكر) فردت عليه عائشة رضي الله عنها هذا الزعم الباطل وبيّنت له سبب نزولها، وتفصيل القصة على ما ذكرها البخاري هي:

(إنّ مروان كان عاملا على المدينة ،فأراد معاوية أن يستخلف يزيد فكتب إلى مروان بذلك ، فجمع مروان الناس فخطبهم ، فذكر يزيد ودعا إلى بيعته ، وقال إنّ أمير المؤمنين أراه الله في يزيد رأياً حسناً ، وإنْ يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر ، فقال عبد الرحمن ، ماهي إلا هرقلية (...) فقال مروان: سنة أبي بكر وعمر ، فقال عبد الرحمن :هرقلية إنّ أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا في أهل بيته ، وما جعلها معاوية إلا كرامة لولده ، فقال مروان: خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان :إن هذا الذي أنزل الله فيه :"والذي قال لوالديه أفٍّ لكما .."فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن ، إلا أنّ الله أنزل عذري(براءتي) ولو شئْتُ أن أسمي من نزلت فيه لسمّيته .

تعدد سبب النزول:

كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابا متعدد، والمعتمد في مثل هذه الحال أن ينظر إلى العبارة التي قالوها، ونستطيع أن نستخلص ما يلي:

أولا: أن يعبّر كل منهما بقوله (نزلت الآية في كذا ...) ويذكر أمراً آخر غير الذي ذكره الأول ، فيحمل على أنّه استنباط للحكم وتفسير لمعنى الآية ، فلا منافاة بينهما كما مرّ لأنه ليس بسبب النزول.

ثانياً: أن يعبّر أحدهما بقوله (نزلت الآية في كذا ..) ويصرّح الآخر بذكر سبب النزول فالمعتمد هنا التصريح.

ثالثاً: أن يذكر كل منهما سببا صريحا للنزول غير الآخر فيعتمد هنا الصحيح دون الضعيف.

رابعاً: أن يستوي الاسنادان في الصحة، فنرجح أحدهما على الآخر لوجه من وجوه الترجيحات كذكر الراوي أنّه حضر القصة مثلا.

خامساً: أن تكون كل من الروايتين صحيحة الإسناد، وأن يكون بينهما تقارب في المدة، فتنزل الآية أو الآيات بسبب الحادثتين معاً، وننتهي إلى الجمع بين الروايتين.

سادساً: ألا يمكن الجمع بين الروايات الصحيحة فيحمل على تعدد النزول وتكرره، لأنّ المدة بينهما بعيدة.

هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

اختلف علماء أصول الفقه في مسألة دقيقة وهي: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟ أي أنّه إذا وقعت الواقعة ونزلت في شأنها آية كريمة فهل يقتصر حكم هذه الآية على تلك الحادثة أو الواقعة أو الشخص الذي نزلت فيه أم يتعدى الحكم إلى الجميع؟

فجمهور العلماء يذهبون إلى أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذا هو الصحيح المعتمد. وهذا لا يمنع أن يكون هناك رأي آخر يقول أنّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ. قال السيوطي في كتابه الإتقان: "ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة، كنزول آية الظهار في (سلمة بن صخر) ، وآية اللعان في شأن(هلال بن أمية) ، وحد القذف في (رماة عائشة) ، ثمّ تعدى الحكم إلى غيرهم لعموم اللفظ".

علاقة سياق الحال بأسباب النزول القرآني:

التفت المفسرون إلى أهمية سياق الحال وهو يتمثل عندهم فيما أطلقوا عليه أسباب النزول وبدأوا بذكرها عند الآيات وحددّوا وظائفها وفوائدها المتمثلة في الوقوف على المعنى عند معرفة عناصر سياق الحال من خلال سبب النزول، وقد اشترطوا فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم وتأويله شروطاً لها علاقة بسياق الحال. فهناك علاقة بين أسباب النزول وسياق الحال، إذ أنّ سبب النزول يمثّل علاقة النص بالواقع، فهو يزودنا من خلال الحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ترى النص

استجابة للواقع تأييدا ورفضاً وتُؤَكِّد علاقة الحوار والجدل بين النص والواقع. ويتضح ذلك من خلال مفهوم أسباب النزول، إذ يقصد بها(الأحداث والوقائع الملابسة للنص القرآني)، فالقرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة بل نزل منجماً وقد ذكر الله سبحانه وتعالى علّة ذلك فقال:(وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبّت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) الفرقان :32.

ولذلك إنّ لأسباب النزول فوائد وأهمية كبيرة في فهم المعنى، فقد ذكر الواحدي (ت468هـ) أنّه لا يمكن "تفسير الآية وقصد سبيلها ،دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها " .

المحاضرة السابعة:

علم المكي والمدني

توطئة:

عني العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين والمكان والخطاب، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني، وهو شأن علمائنا في تناولهم لمباحث القرآن الأخرى.

إنّه جهد كبير أن يتتبع الباحث منازل الوحي في جميع مراحله، ويتناول آيات القرآن الكريم فيعين وقت نزولها، ويحدد مكانه، ويضم إلى ذلك الضوابط القياسية لأسلوب الخطاب فيها، أهو من قبيل المكي أم من قبيل المدني؟ مستعينا بموضوع السورة أو الآية، أهو من الموضوعات التي ارتكزت

عليها الدعوة الإسلامية في مكة أم من الموضوعات التي ارتكزت عليها الدعوة في المدينة؟ فإذا اشتبه الأمر على الباحث رجّح بوجه من أوجه الترجيحات.

قال النيسابوري في كتاب (التنبيه):" من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته ، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة في أهل مكة ، وما يشبه نزول المكي والمدني ، وما بشبه نزول المدني في المكي ، وما نزل بالجحفة ، وما نزل ببيت المقدس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل ليلا ، وما نزل نهارا ، وما نزل مشيّعا ، وما نزل مفردا ، والآيات المدنيات من السور المكية ، والآيات المكيات في سور المدنية ، وما حمل من إلى المدينة ، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة ، وما نزل مجملا ، وما نزل مفسرا ، وما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم مدني وقال بعضهم مكي".

ولقد بلغ بهم الحرص إلى التفريق بين ما نزل صيفا وما نزل شتاءً، وما تزل ليلا وما نزل نهارا، وما نزل في الحضر وما نزل في السفر.

أولا : تعريف المكي والمدني:

للعلماء ثلاثة أقوال في تعريف المكي والمدني

الأول: أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها ولو في مكة أو غيرها، فالاعتبار في هذا القول للزمن وحده.

الثاني: ما خوطب به أهل مكة فهو مكي، وما خوطب به أهل المدينة فهو مدني، فالاعتبار هنا للموضوع فقط.

الثالث: المكي ما نزل بمكة قبل الهجرة أو بعدها، والمدني ما نزل بالمدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة، والمدينة والشام " أخرجه الطبراني من طريق أبي

أسامة. قال الوليد في معنى كلمة الشام، أنّه يقصد بها بيت المقدس وقال الحافظ ابن كثير: بل تفسيره بتبوك أحسن. ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنن وعرفات والحديبية، وفي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأحد وسَلْع وقباء ...

ويترتب على هذا الرأي عدم ثنائية القسمة وحصرها، لأن ما نزل في الأسفار أو بتبوك أو بيت المقدس لا يدخل تحت القسمة، فلا يسمى كيا ولا مدنيا.

ولأجل ذلك يرجح القول الأول.

ثانيا بدء ومدة النزول المكي والمدني:

1- بدء النزول المكي: بدأ النزول القرآني بمكة في اليوم السابع عشر من رمضان من السنة الحادية والأربعين من ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم الموافق لـ611م ، وانتهى في الأول من ربيع الأول من السنة الرابعة والخمسين من ميلاده صلى الله عليه وسلم الموافق ل622م ، ثم هاجر الرسول إلى المدينة فمدة النزول القرآني المكي اثنتا عشرة سنة ، وخمسة أشهر ،وثلاثة عشر يوما . وهو يؤلف تسعة عشر جزءًا من القرآن.
2- بدء النزول المدني: بدأ في اليوم الأول من شهر ربيع الأول من السنة الرابعة والخمسين من ميلاده صلى الله عليه وسلم وانتهى في التاسع من ذي الحجة من الستة الثالثة والستين من ميلاده صلى الله عليه وسلم فمدته تسع سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيام، وهو يؤلف أحد عشرة جزء من القرآن.

ثالثا: السور المكية والمدنية والمختلف فيها:

نقل السيوطي في الإتقان عدة آراء في عدد السور المكية والمدنية، أهمها ما ذكره أبو الحسن الحصار في كتابه "الناسخ والمنسوخ " الذي جاء فيه:

السور المدنية: وهي باتفاق العلماء اثنتان وعشرون سورة هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الحج، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، الإنسان، النصر.

السور المكية : وهي ثمانون سورة هي : الأنعام ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر ، النحل ، الإسراء الكهف ، مريم ، طه ، الأنبياء، المؤمنون ، الفرقان ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، سبأ ، فاطر ، يس، الصافات ، الزمر ، غافر، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، ق ، الذاريات ، الطور ، النجم ، القمر ، الواقعة ، الملك ، القلم ، الحاقة ، المعارج ، نوح ، الجن ، المزمل ، المدثر ، القيامة ، المرسلات ، النبأ ، النازعات ، عبس ، التكوير ، الانفطار ، الانشقاق ، البروج ، الطارق ، الأعلى ، الغاشية ، الفجر ،البلد ، الشمس ، الليل ، الضحى ، الانشراح ، التين ، العلق ، العاديات ، القارعة ، التكاثر ، العصر، الهمزة ، الفيل ، قريش ، الماعون ، الكوثر ، الكافرون ، المسد .

أما السور المختلف فيها فهي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، الناس .

رابعا: فوائد العلم بالمكي والمدني:

للعلم بالمكي والمدني من القرآن فوائد عديدة حصرها العلماء فيما يلي:

1- التمييز بين الناسخ والمنسوخ للعمل بالناسخ واطّراح المنسوخ.
2- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه.
3- الاستعانة به لتفسير القرآن على الوجه الأصح.
4- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أساليب الدعوة إلى الله.
5- الوقوف على حقيقة السيرة النبوية.

6- الوقوف على حقيقة خصوص أو عموم اللفظ والسبب.

7- الكشف عن دلالات الأحكام.

8- الفهم الصحيح لأسباب النزول.

خامسا: خصائص المكي والمدني:

إنّ الذي يقرأ القرآن الكريم يجد للآيات المكية خصائص ليست للآيات المدنية في وقعها ومعانيها، وإن كانت الثانية مبنية على الأولى في الأحكام والتشريع.

فحيث كان القوم في جاهلية تعمي وتصم، يعبدون الأوثان، ويشركون بالله، وينكرون الوحي، ويكذِّبون بيوم الدين، وكانوا يقولون:"أئِذا متنا وكنّا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون ".الصافات / 16 . "ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر ". الجاثية / 24 ، وهم أَلِدَاء في الخصومة ، أهل مماراة ولجاجة في القول عن فصاحة وبيان ، حيث كان القوم كذلك نزل الوحي المكي قوارع زاجرة ، وشهبا منذرة ، وحججا قاطعة ، يحطم وثنيتهم في العقيدة ، ويدعوهم إلى توحيد الألوهية والربوبية ، ويهتك أستار فسادهم، ويسفه أحلامهم ، ويقيم دلائل النبوة ، ويضرب الأمثلة للحياة الآخرة وما فيها من جنة ونار ، ويتحداهم على فصاحتهم بأن يأتوا بمثل القرآن ، ويسوق إليهم قصص المكذبين الغابرين عبرة وذكرى ، فتجد في مكي القرآن ألفاظا شديدة القرع على المسامع ، تقذف حروفها شرر الوعيد وألسنة العذاب ، فكلا الرادعة الزاجرة ، و الصاخّة والقارعة ، والغاشية والواقعة ، وألفاظ الهجاء في فواتح السور ، وآيات التحدي في ثناياها ، ومصير الأمم السابقة كل هذا نجده في خصائص المكي .

وحين تكونت الجماعة المؤمنة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وامتحنت في عقيدتها بأذى المشركين فصبرت وهاجرت بدينها مؤثرة ما عند الله على متع الحياة نرى الآيات المدنية طويلة المقاطع، تتناول أحكام الإسلام وحدوده، وتدعو إلى الجهاد والاستشهاد

في سبيل الله، وتفصل أصول التشريع وتضع قواعد المجتمع ، وتحدد روابط الأسرة ، وصلات الأفراد ، وعلاقات الدول والأمم ، كما تفضح المنافقين وتكشف دخيلتهم وتجادل أهل الكتاب وتلجم أفواههم ، وهذا هو طابع القرآن المدني .

سادسا: منهج العلماء في الاستدلال على المكي والمدني:

اعتمد العلماء في معرفة المكي والمدني على منهجين اثنين:

الأول / المنهج الاجتهادي الاستنباطي: ويعتمد على خصائص كل من المرحلتين.

الثاني / المنهج السماعي النقلي : ويرجع هذا المنهج إلى النقل الصحيح عن الصحابة الذين عاصروا الوحي، وشاهدوا التنزيل ، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقعه وأحداثه ، ومعظم ما ورد في المكي والمدني من هذا القبيل . قال الباقلاني في "الانتصار " : (إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين ، ولم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قول لأنّه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وإن وجب في بعضه على أهل العلم وعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول) .

المحاضرة الثامنة: الأحرف السبعة والقراءات.

1- الأحرف السبعة:

أ- التعريف:

لغة: الحرف في أصل كلام العرب معناه الطرف والجانب، وحرف السفينة والجبل جانبهما.

اصطلاحاً: الأحرف السبعة: سبعة أوجه فصيحة من اللغات والقراءات أنزل عليها القرآن الكريم.

ب- بيان الأحرف السبعة في الحديث النبوي.

لما كان سبيل معرفة هذا الموضوع هو النقل الثابت الصحيح عن الذي لا ينطق عن الهوى، نقدم ما يوضح المراد من الأحرف السبعة:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقْرِئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكِدت أساوِره في الصلاة ، فتصَّبرت حتى سلّم ، فلَبَّبْتُهُ بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنِيْها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: كذبت، أقرانيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئها، فقال: " أرسله، اقرأ يا هشام"، فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كذلك أنزلت " ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اقرأ يا عمر "، فقرأت التي أقرأني. فقال: "كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه ".

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف ".

جـ - الأحرف السبعة والقراءات السبع.

دلتنا النصوص على أن المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه نزل عليها القرآن، ونود أن ننبه بأن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع المشهورة، التي يظن كثير من عامة الناس أنها الأحرف السبعة. وهو خطأ عظيم ناشئ عن الخلط وعدم التمييز بين الأحرف السبعة والقراءات.

وهذه القراءات السبع إنما عرفت واشتهرت في القرن الرابع، على يد الإمام المقرئ ابن مجاهد الذي اجتهد في تأليف كتاب يجمع فيه قراءات بعض الأئمة المبرزين في القراءة، فاتفق له أن جاءت هذه القراءات سبعة موافقة لعدد الأحرف، فلو كانت الأحرف السبعة هي القراءات السبع، لكان معنى ذلك أن يكون فهم أحاديث الأحرف السبعة، بل العمل بها أيضاً متوقفاً حتى يأتي ابن مجاهد ويخرجها للناس ...

وقد كثر تنبيه العلماء في مختلف العصور على التفريق بين القراءات السبع والأحرف السبعة، والتحذير من الخلط بينهما.

د- حقيقة الأحرف السبعة.

ذهب بعض العلماء إلى استخراج الأحرف السبعة باستقراء أوجه الخلاف الواردة في قراءات القرآن كلها صحيحها وسقيمها، ثم تصنيف هذه الأوجه إلى سبعة أصناف، بينما عمد آخرون إلى التماس الأحرف السبعة في لغات العرب، فَتَكوّن بذلك مذهبان رئيسيان، نذكر نموذجاً عن كل منهما فيما يلي:

المذهب الأول: مذهب استقراء أوجه الخلاف في لغات العرب، وفي القراءات كلها ثم تصنيفها، وقد تعرض هذا المذهب للتنقيح على يد أنصاره الذين تتابعوا عليه، ونكتفي بأهم تنقيح وتصنيف لها فيما نرى، وهو تصنيف الإمام أبي الفضل عبد الرحمن الرازي، حيث قال: ... إن كل حرف من الأحرف السبعة المنزلة جنس ذو نوع من الاختلاف.

أحدها: اختلاف أوزان الأسماء من الواحدة والتثنية، والجموع، والتذكير، والمبالغة. ومن أمثلته: "وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ" [المؤمنون: 8]، وقرئ. (لأَمَانَاتِهِمْ) بالإفراد.

ثانيها: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه، نحو الماضي والمستقبل، والأمر، وأن يسند إلى المذكر والمؤنث، والمتكلم والمخاطب، والفاعل، والمفعول به. ومن أمثلته: "فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا" [سبأ: 19] بصيغة الدعاء، وقرئ: (رَبُّنَا بَاعَدَ) فعلا ماضيا.

ثالثها: وجوه الإعراب. ومن أمثلته: "وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ" [البقرة: 282] قرئ بفتح الراء وضمها. وقوله "ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ" [البروج: 15] برفع (الْمَجِيدُ) وجره.

رابعها: الزيارة والنقص، مثل: "وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى" [الليل: 3] قرئ (الذَّكَرَ وَالأُنْثَى).

خامسها: التقديم والتأخير، مثل:"فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ" [التوبة: 111] وقرئ: "فَيُقْتَلونَ ويَقْتُلُون" ومثل: "وجاءت سكرة الموت بالحق"، قرئ: "وجاءت سكرة الحق بالموت".

سادسها: القلب والإبدال في كلمة بأخرى، أو حرف بآخر، مثل: "وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا"[البقرة: 259] بالزاي، وقرئ: (ننشرها) بالراء.

سابعها: اختلاف اللغات: مثل "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى" [النازعات: 15] بالفتح والإمالة في: (أتى) و (موسى) وغير ذلك من ترقيق وتفخيم وإدغام...

فهذا التأويل مما جمع شواذ القراءات ومشاهيرها ومناسيخها على موافقة الرسم ومخالفته، وكذلك سائر الكلام لا ينفك اختلافه من هذه الأجناس السبعة المتنوعة.

المذهب الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة لغات من لغات قبائل العرب الفصيحة.

وذلك لأن المعنى الأصلي للحرف هو اللغة ، فأنزل القرآن على سبع لغات مراعيا ما بينها من الفوارق التي لم يألفها بعض العرب،فأنزل الله القرآن بما يألف ويعرف هؤلاء وهؤلاء من أصحاب اللغات، حتى نزل في القرآن من القراءات ما يسهل على جلّ العرب إن لم يكن كلهم، وبذلك كان القرآن نازلا بلسان قريش والعرب.

فهذان المذهبان أقوى ما قيل، وأرجح ما قيل في بيان المراد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم. غير أنا نرى أن المذهب الأول أرجح وأقوى.

2-القراءات السبع:

أ-تعريف القراءة:

لغة: مصدر لـ: قرأ واصطلاحا: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.

فهذا التعريف يعرف القراءة من حيث نسبتها للأمام المقرئ، أما الأصل في القراءات فهو النقل بالإسناد المتواتر إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

والمقرئ: هو العالم بالقراءات، التي رواها مشافهة بالتلقي عن أهلها إلى أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم.

ب-ضابط القراءة المقبولة

لقد ضبط علماء القراءات القراءة المقبولة بقاعدة مشهورة متفق عليها بينهم ، وهي:

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت رسم أحد المصاحف ولو احتمالا، وتواتر سندها، فهي القراءة الصحيحة.

يتبين من هذا الضابط ثلاثة شروط هي:

الشرط الأول: موافقة العربية ولو بوجه:

ومعنى هذا الشرط أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه النحو، ولو كان مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله، فلا يصح مثلا الاعتراض على قراءة حمزة. "{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ" [النساء: 1] بجر الأرحام.

الشرط الثاني: موافقة خط أحد المصاحف ولو احتمالا:

وذلك أن النطق بالكلمة قد يوافق رسم المصحف تحقيقا إذا كان مطابقاً للمكتوب، وقد يوافقه احتمالاً أو تقديراً باعتبار ما عرفنا أن رسم المصحف له أصول خاصة تسمح بقراءته على أكثر من وجه.

مثال ذلك: (ملك يوم الدين) رسمت (ملك) بدون ألف في جميع المصاحف، فمن قرأ: (ملك يوم الدين) بدون ألف فهو موافق للرسم تحقيقاً، ومن قرأ: (مالك(فهو موافق تقديراً، لحذف هذه الألف من الخط اختصاراً .

الشرط الثالث: تواتر السند:

وهو أن تعلم القراءة من جهة راويها ومن جهة غيره ممن يبلغ عددهم التواتر في كل طبقة.

جـ- أنواع القراءات حسب أسانيدها

لقد قسم علماء القراءة القراءات بحسب أسانيدها إلى ستة أقسام:

الأول: المتواتر: وهو ما نقله جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثله إلى منتهى السند، وهذا النوع يشمل القراءات العشر المتواترات .

الثاني: المشهور: وهو ما صح سنده ولم يخالف الرسم ولا اللغة واشتهر عند القراء: فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، وهذا لا تصح القراءة به، ولا يجوز رده، ولا يحل إنكاره.

الثالث: الآحاد: وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، وهذا لا يجوز القراءة. مثل ما روى على ((رفارف خضر وعباقري حسان))، والصواب الذي عليه القراءة: "رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ" [الرحمن: 76].

الرابع: الشاذ: وهو ما لم يصح سنده ولو وافق رسم المصحف والعربية، مثل قراءة : ((مَلَكَ يومَ الدين))، بصيغة الماضي في ((ملك)) ونصب ((يوم)) مفعولاً.

الخامس: الموضوع: وهو المختلق المكذوب.

السادس: ما يشبه المدرج من أنواع الحديث، وهو ما زيد في القراءة على وجه التفسير.

وهذه الأنواع الأربعة الأخيرة لا تحل القراءة بها، ويعاقب من قرأ بها على جهة التعبير.

د- القراءات المتواترة وقُرّاؤها: من الضروري والطبيعي أن يشتهر في كل عصر جماعة من القراء، في كل طبقة من طبقات الأمة، يتفقون في حفظ القرآن، وإتقان ضبط أدائه والتفرغ لتعليمه، من عصر الصحابة، ثم التابعين، وأتباعهم وهكذا ...

ولقد تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم، ويؤخذ عنهم. فكان بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم.

وكان بمكة: عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن مُحَيْص. وكان بالكوفة: يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النَّجود الأسدي، وسليمان الأعمش، ثم حمزة بن حبيب، ثم الكِسائي أبو علي بن حمزة.

وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ثم عاصم الجحدري،ثم يعقوب الحضرمي. وكان بالشام: عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري، ثم شريح بن زيد الحضرمي.

ثم جاء الإمام أحمد بن موسى بن العباس المشهور بابن مجاهد المتوفى سنة (324هـ) فأفرد القراءات السبع المعروفة، فدونها في كتابه: " القراءات السبع" فاحتلت مكانتها في التدوين، وأصبح علمها مفرداً يقصدها طلاب القراءات.

وقد بنى اختياره هذا على شروط عالية جداً، فلم يأخذ إلا عن الإمام الذي اشتهر بالضبط والأمانة، وطول العمر في ملازمة الإقراء، مع الاتفاق على الأخذ منه، والتلقي عنه ، فكان له من ذلك قراءات هؤلاء السبعة، وهم:

عبد الله بن كثير الداري المكي، (45-120 هـ).

عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي (8-18 هـ).

عاصم بن أبي النَّجود الأسدي الكوفي، المتوفى سنة (127هـ).

أبو عمرو بن العلاء البصري، (70-154 هـ).

حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، (8-156 هـ).

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، المتوفى سنة (169هـ).

أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي، المتوفى سنة (189هـ).

وقد عُلم من مسرد أئمة الأمصار الإسلامية القراء أن القراءات أكثر من ذلك بكثير، لكن ابن مجاهد جمع هذه السبع لشروطه التي راعاها . وقد تابع العلماء البحث لتحديد القراءات المتواترة، حتى استقر الاعتماد العلمي، واشتهر على زيادة ثلاث قراءات أخرى ، أضيفت إلى السبع، فأصبح مجموع المتواتر من القراءات عشر قراءات ، وهذه القراءات الثلاث هي قراءات الأئمة الآتية أسماؤهم :

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، المتوفى سنة (130هـ).

يعقوب بن إسحاق الحضرمي الكوفي، المتوفى سنة (205هـ).

خلف بن هشام، المتوفى سنة (229 هـ).

هـ - أهمية الأحرف السبعة والقراءات

إن الأحرف السبعة والقراءات ظاهرة هامة جاء بها القرآن الكريم من نواح لغوية وعلمية متعددة، نوجز طائفة منها فيما يلي:

1-زيادة فوائد جديدة في تنزيل القرآن: ذلك أن تعدد التلاوة من قراءة إلى أخرى، ومن حرف لآخر قد تفيد معنى جديداً، مع الإيجاز بكون الآية واحدة.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في آية الوضوء: "فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ" [المائدة: 6]، قرئ: (وأرجِلَكم) بالنصب عطفاً على المغسولات السابقة، فأفاد وجوب غسل القدمين في الوضوء، وقرئ بالجر، فقيل: هو جر على المجاورة، وقيل: هو بالجر لإفادة المسح على الخفين، وهو قول جيد.

2-إظهار فضيلة الأمة الإسلامية وقرآنها:

وذلك أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله، فإنما نزل بلسان واحد، وأنزل كتابنا بأحرف سبعة بأيها قرأ القارئ كان تالياً لما أنزله الله تعالى.

3-الإعجاز وإثبات الوحي:

فالقرآن الكريم كتاب هداية يحمل دعوتها إلى العالم، وهو كتاب إعجاز يتحدى ببيانه هذا العالم ، فبرهن بمعجزة بيانه عن حقية دعوته، ونزول القرآن بهذه الأحرف والقراءات تأكيد لهذا الإعجاز، والبرهان على أنه وحي السماء لهداية أهل الأرض من أوجه هذه الدلالة:

إن هذه الأحرف والقراءات العديدة يؤيد بعضها بعضاً من غير تناقض في المعاني والدلائل، ولا تناف في الأحكام والأوامر، فلا يخفى ما في إنزال القرآن على سبعة أحرف من عظيم البرهان وواضح الدلالة.

إن نظم القرآن المعجز، والبالغ من الدقة غايتها في اختيار مفرداته وتتابع سردها، وجملة وإحكام ترابطها، وتناغمه الموسيقي المعبر يجري عليه كل ما عرفنا من الأوجه السابقة في الأحرف والقراءات ثم يبقى حيث هو في سماء الإعجاز، لا يعتل بأفواه قارئيه، ولا يختل بآذان سامعيه، منزها أن يطرأ على كلامه الضعف أو الركاكة، أو أن يعرض له خلل أو نشاز.